# التشاؤم في شعر العقاد:
# الرؤية والأداة

د. إبراهيم بن يحيى بن أحمد عسيري

معلم بوزارة التعليم السعودية

حاصل على دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأدبية

من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية،

جامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

# التشاؤم في شعر العقاد: الرؤية والأداة

**د. إبراهيم بن يحيى بن أحمد عسيري*** (١)

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم ، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: mazne2010@gmail.com

**الملخص:**

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء –من خلال شعر العقاد– على إحدى زوايا نفسه، وهي الزاوية المتسمة بالسوداوية والتشاؤم، لاسيما وأن الحزن والتشاؤم من السمات الملازمة للاتجاه الرومانسي عامة.

وقد استدعت طبيعة البحث أن يأتي في تمهيد، وفصلين، وخاتمة.

ففي التمهيد: عرف الباحث التشاؤم في اللغة، وعند علماء النفس، وقدم نبذة موجزة عنه، وتناول بعد ذلك التشاؤم في الموروث الشعري، ثم ترجم بشكل موجز للعقاد، ليختم التمهيد بالحديث عن دواعي التشاؤم في شعره.

أما الفصل الأول: فتناول مظاهر التشاؤم عند العقاد، وجاء في أربعة مباحث على النحو التالي: المبحث الأول: الذات المتشائمة، المبحث الثاني: سوء الظن بالناس، المبحث الثالث: سوء الظن بالأصدقاء والمرأة، المبحث الرابع: الصراع مع الزمن.

أما الفصل الثاني: فكان عن الدراسة الفنية، وقد أفرد له ثلاثة مباحث، هي: وحدة القصيدة، واللغة، والصورة. وقد أُنهي البحث بخاتمة ذكر فيها أبرز النتائج التي تم التوصل إليها.

**الكلمات المفتاحية:** العقاد، التشاؤم، شعر التشاؤم.

---

* معلم بوزارة التعليم السعودية ، حاصل على دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأدبية

**Pessimism in Akkad's poetry: vision and tool**

**Ibrahim Yahya Ahmed Asiri**

**Department of Arabic Language and Literature, College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University, Saudi Arabia**

**Email: mazne2010@gmail.com**

**Abstract:**

the aim of this study is to shed light - through Akkad's poetry - on one of the areas of his poetry, which is characterized characterized by melancholy and pessimism, especially since sadness and pessimism are among the signs inherent in the general romantic trend.

The research has certainly decided to come in Waiting, two chapters, and a conclusion.

In the introduction: The researcher defined pessimism in language and among psychologists, and presented a brief overview of it. He then addressed pessimism in the poetic tradition, then translated briefly by Al-Aqqad, concluding the introduction by talking about the reasons for pessimism in his poetry.

As for the first chapter: it dealt with the manifestations of pessimism according to Al-Aqqad, and it was presented in four sections as follows: The first topic: The pessimistic self, The second topic: Having bad thoughts about people, The third topic: Having bad thoughts about friends and women, The fourth topic: The struggle with time.

The second chapter was about the artistic study, and three topics were devoted to it: the unity of the poem, the language, and the image. The research ended with a conclusion in which the most prominent results reached were mentioned.

**Keywords:** Al-aggad, pessimism, pessimistic poetry.

**المقدمة**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. وبعد.

ففي العصر الحديث نادى أصحاب (المذهب الرومانسي) بإطلاق الحرية الفردية، وترك النفس تعبر عما يعتلج داخلها إزاء ما يحيط بها من الحياة والأحياء، وقد وجد هذا النداء استجابةً وقبولًا في أدبنا العربي، إذ حمل أقطاب مدرسة الديوان لواء التجديد في الشعر، فدعوا إلى تحرير الشعر من أسر الأساليب والموضوعات المستهلكة التي لا تناسب روح العصر ولا ثقافته، وهذا أدى إلى وجود حركة شعرية جديدة تتمحور حول الذات الإنسانية. فالأدب الرومانسي أدب ذاتي فردي يتميز بظهور ملامح شخصية الشاعر من خلال تعبيره عن مكنونات نفسه، وانفعالاته بحرية واستقلال. فالشعر دليل على شخصية الشاعر وكاشف عنها، "فموضوع حياته هو موضوع شعره، وموضوع شعره هو موضوع حياته، وديوانه هو ترجمة باطنية لنفسه، يخفى فيها ذكر الأماكن والأزمان، ولا يخفى فيها ذكر خالجة ولا هاجسة مما تتألف منه حياة الإنسان"(١).

ومن هنا كانت هذه الدراسة التي تهدف إلى تسليط الضوء –من خلال شعر العقاد– على إحدى زوايا نفسه، وهي الزاوية المتسمة بالسوداوية والتشاؤم، لاسيما وأن الحزن والتشاؤم من السمات الملازمة للاتجاه الرومانسي عامة.

**الدراسات السابقة:**

سبقت هذه الدراسة بثلاث دراسات بانورامية موسعة، دارت حول الموضوع ذاته، ألا وهي:

---

(١) العقاد (عباس محمود)، ابن الرومي حياته من شعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون، ص٨.

١- التفاؤل والتشاؤم في شعر العقاد، للباحث: سميح محمود إسماعيل، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية بالقاهرة، سنة ١٩٨٠م.

٢- التشاؤم عند الشعراء الشُّبان في النصف الأول من القرن العشرين، للباحث: علاء فؤاد عبد الفتاح، رسالة دكتوراه، ١٩٩٩م، جامعة الأزهر- كلية اللغة العربية بالزقازيق.

٣- التفاؤل والتشاؤم في شعر مدرسة الديوان، للباحث أحمد محمد الطباخ، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، سنة ٢٠٠٥م.

وعلى ما في هذه الدراسات من معلومات مهمّة وسبق إلا أنَّ شعر العقاد ذا الصبغة التشاؤمية يظل بحاجة إلى تعميق النظر، بغية استجلاء بعض الجوانب التي لم تتطرق لها الدراسات آنفة الذكر، أو تلك التي تناولتها باقتضاب؛ ولذا تولدت هذه الضرورة، فانبرت لها هذه الدراسة متطلعة أن تكون إسهاما -بإذن الله- في إفادة من رام معرفة هذه الشخصية من الزاوية المذكورة. وقد اعتمدت الدراسة على ديوان العقاد ذي الأجزاء العشرة.

**مشكلة البحث:**

وتتحدّد مشكلة البحث في محاولة معرفة حظّ الشعر ذي الصبغة التشاؤمية في شعر العقاد، وفي التعرف على الكيفيّة التي ورد بها، سواء في أساليبه أو وظائفه، ويقتضي ذلك محاولة الإجابة عن التّساؤلات التّالية:

١ . هل توجد صبغة تشاؤمية في شعر العقاد؟ وما نصيبها؟

٢- وما بواعث التشاؤم في شعر العقاد؟

٣- وهل من أهدافه التَّسَخُّطُ والتنفيس فحسب أم أنّ له غايات أبعد يرمي إليها؟

٤- وما أبرز التقنيّات الفنيّة التي تميّز بها الشعر ذو الصبغة التشاؤمية لدى العقاد؟

٥- وهل استطاع شعر العقاد ذو الصبغة التشاؤمية مجاراة المضامين الأخرى من حيث الصّياغة؟

وتأتي أهمية الموضوع في كون الشعر -في معظم حالات الإنشاء- عملًا موظّفًا عن وعي؛ ليحقّق مقاصد. وممّا يعين على تحقيق غاياته ما يتوفّر فيه من استدراج وتشويق. ولعلّ أبرز أساليب التشويق وأكثرها لفت للانتباه الأسلوب التشاؤمي؛ لذلك كان حاضرا في إبداع بعض الأدباء العرب على مرّ العصور؛ فقد ظفروا فيه بوسيلة ناجعة للتعبير عن رؤاهم ومواقفهم. ومن أولئك الأدباء العقاد الذي رأى في التشاؤم وسيلة لتحقيق الإبداع الفنيّ، وتسليط الأضواء على السلبيات والثغرات، وكشف أوجه القصور، والإغراء بتلقّي الإبداع.

**الدافع لاختيار الموضوع:**

تمثل في الرغبة الملحة في كشف نفس العقاد من هذه الزاوية، ومعرفة المساحة التي استغرقها هذا اللون من ديوانه ذي الأجزاء العشرة، ومدى تأثيره على حياته، لاسيما أن العقاد دعا إلى معرفة شخصية الشاعر من شعره، وذلك في قوله "إن الشاعر الذي لا نعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف، لأن كلام الشاعر هو الصلة الكبرى بيننا وبينه، فإن يكن هذا الكلام معبرًا عن النفس مستجمعًا لصفاتها وأطوارها فهو حسبنا من معرفة بالشاعر وترجمة لحياته، لا يزيد عليها التاريخ إلا ما هو من قبيل التفصيل والتفسير أو من قبيل الحشر والفضول"(١).

**صعوبات البحث:**

لا يخلو أي بحث من عقبات ومصاعب تعترض طريق الباحث، ولعل من أوعر العقبات وأكبر المصاعب التي واجهت الباحث، كثرة مادة ديوان

(١) الجبلاوي (محمد طاهر)، من ذكرياتي في صحبة العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة، بدون، ١٩٦٧م، ص٢١٣.

العقاد ذي الأجزاء العشرة. حيث كان لا بد من الاطلاع على جميع ما فيه، ومن ثم تحديد القصائد والمقطوعات والأبيات التي ظهرت فيها الروح المتشائمة لدى العقاد.

**تقسيمات البحث:**

استدعت طبيعة البحث أن يأتي في تمهيد، وفصلين، وخاتمة. ففي التمهيد: عرف الباحث التشاؤم في اللغة، وعند علماء النفس، وقدم نبذة موجزة عنه، وتناول بعد ذلك التشاؤم في الموروث الشعري، ثم ترجم بشكل موجز للعقاد، ليختم التمهيد بالحديث عن دواعي التشاؤم في شعره.

أما الفصل الأول: فتناول مظاهر التشاؤم عند العقاد، وجاء في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الذات المتشائمة.

المبحث الثاني: سوء الظن بالناس.

المبحث الثالث: سوء الظن بالأصدقاء والمرأة.

المبحث الرابع: الصراع مع الزمن.

أما الفصل الثاني: فكان عن الدراسة الفنية، وقد أفرد له ثلاثة مباحث، هي:

١ – وحدة القصيدة.

٢ – اللغة.

٣ – الصورة.

وقد أُنهي الباحث دراسته بخاتمة ذكر فيها أبرز النتائج التي توصل إليها.

وختامًا، إن أصاب الباحث – وذلك هو المنشود – فمن الله وحده، وإن كان غير ذلك فحسبه أنه بذل جهده. والله المستعان وعليه التكلان.

**تمهيد:**

**١ – التشاؤم:**

الحياة مليئة بالمصاعب والعقبات التي تعترض حياة الإنسان، فتعكر صفوه، أو تحول دون مراده، وذلك قانون إلهي، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَد﴾ البلد، الآية:٤. وهذه المصاعب والعقبات قد تحول دون استقرار النفس واتزانها، وتؤدي بها إلى المشاكل والآفات التي تؤثر على حياة الفرد والمجتمع.

ويعد التشاؤم من أشد المشاكل والآفات التي ترتبط بذهن الفرد، فتترك آثرًا في نفسه تعزله عن مجتمعه، وتعطل مساره، وربما أردته؛ فتضيق به الحياة مع رحابتها؛ ليكون العجز والفشل حليفه.

**التشاؤم في اللغة والاصطلاح:**

جاء في لسان العرب: "(شأم) الشؤم خلاف اليمن ورجل مشئوم على قومه، وفي الحديث إن كان الشؤم ففي ثلاثة. معناه إن كان فيما تكره عاقبته ويخاف ففي هذه الثلاثة"(١)، وفي المعجم الوسيط "(تشاءم) تطير. وبه: عَدَّهُ شُؤْمًا"(٢).

أما التشاؤم حسب التعريف السيكولوجي فهو: "توقع سلبي للأحداث القادمة، يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ، ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما خلا ذلك إلى حد بعيد"(٣).

---

(١) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون، ج١٥، ص٢٠٧.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع دار المعارف، بدون، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ج١، ص٤٦٩.

(٣) الأنصاري (بدر محمد)، التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، جامعة الكويت، الكويت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٦.

وتشاؤم الإنسان العادي أو تفاؤله لا يقومان عادة على أسس نظرية ولا على مذهب فلسفي، ولكن على أحوال عارضة في حياته الخاصة أو العامة، فيكون الإنسان متأثرًا في حاليه من تشاؤم أو تفاؤل بما يرافق حياته من فقر أو غنى، ومن صحة أو سقم، ومن نجاح أو خيبة. فمزاج الإنسان له أثر كبير في توجيهه نحو التشاؤم أو التفاؤل. وعلى قدرهما يختط الإنسان لنفسه منهجًا في الحياة، ويوفق بين سلوكه وبين ما يتفاءل به أو يتشاءم منه.

ويعد التشاؤم من الأمراض الخطيرة الفاتكة التي تؤثر بشكل كبير على الأفراد، بل قد تغير مجرى حياتهم، فهو "نزعة هادمة مدمرة تستحوذ على الفكر والمخيلة. وتحيل الأبيض أسود، والحسن سيئًا، والنصر هزيمة، والجمال جريمةً"(١)، ومن ثم تغري الإنسان بالكسل والتقاعس، وتمنعه عن العمل والاجتهاد، ومحاولة تحقيق الأهداف، فلا يستطيع مواجهة المشكلات، لتوقعه دائمًا بأن الفشل سيكون حليفه، وأن التجارب التي فشل فيها سوف تستمر، وهكذا يميل "المتشائمون إلى تضخيم حجم المواقف الضاغطة بطريقة مبالغ فيها"(٢)، فهم يرون "كل شيء أسود قاتمًا، ويأخذون الجانب السيئ من كل شيء، ويهملون ما عداه"(٣).

(١) خليفة (علي السيد)، الخجل والتشاؤم وعلاجهما، المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، بدون، ص٤٤.

(٢) شويعل (يزيد)، التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بمركز الضبط وأساليب التعامل مع الضغط النفسي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العدد الثاني/ يونيه، ٢٠١٤م، ص١٦٨.

(٣) انظر، شرارة (عبد اللطيف)، تغلب على التشاؤم، الناشر المجموعة، بدون، ط١، ١٩٩٦م، ص٩.

**٢ – التشاؤم في الموروث الشعري:**

ظهرت الروح المتشائمة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، حيث تضافرت بعض العوامل في وجود تلك الروح عند شعراء الجاهلية، فـ "من الثابت أن الأدب والحركة الأدبية، في أي عصر من العصور، تتأثر بشكل كبير بالأحوال المختلفة التي تسود العصر، من سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية. ويطلق بعض النقاد على هذه الحياة بتفاصيلها دراسة ما حول الأدب"(١)، ومن أبرز تلك العوامل: "القلق الذي يشكل الدافع الأول والأهم للتشاؤم، فالحياة كانت محفوفة بالمخاطر وعدم الاستقرار. يضاف إلى ذلك عدم وجود قيم روحية أو مثل دينية، فيما شكلت قلة موارد الجزيرة وانحباس المطر أحيانًا عاملًا ثالثًا لوجود ظاهرة التشاؤم"(٢).

ولهذه الأسباب أو لغيرها وجدنا الشعراء يئنون ويتشاءمون "فقد كان بين الجاهليين من فكر في الأيام وما يأتي به الدهر من رزايا، بل كان منهم من فكر في القضاء وأحكامه وأن الإنسان لا يستطيع منها خلاصًا ولا فرارًا، وأين يفر أو يخلص؟ إن حياته كلها في يد القدر وهو يسيطر عليها ويصرفها كما يشاء، لا راد لأمره ولا لحكمه، فحكمه نافذ، وقد حُكم عليه أن يموت آخر الأمر، كما مات من سبقه من الناس. ويردد عديّ بن زيد والأعشى وأضرابهما

(١) أحمد (صلاح عبد اللطيف محمد) اتجاهات الشعر العربي في المشرق (في القرن السادس الهجري)، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ص١.

(٢) انظر: عبد الرحمن (عفيف) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء، دار العلوم للطباعة والنشر، بدون، ط١، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م، ص٣٦ وما بعدها.

هذه الأفكار، وأن فوق الإنسان قوة تغلبه وتقهره، ولا محيص له من الاستسلام لها والرضا بقضائها"[١].

ولما أشرقت شمس الإسلام اختفت بعض تلك العوامل فقد "كان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء، والأخلاق في نظر العرب، فارتفعت قيمة أشياء، وانخفضت قيمة أخرى، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس"[٢]، وهذا أدى إلى تقلص ظاهرة التشاؤم عما كانت عليه في العصر الجاهلي، ولكنها لم تختفِ؛ لأنه "مهما كان المجتمع مثاليًا ومتجانسًا فلا بد للظروف الخاصة، وخصوصًا العائلية منها أن تخلق لدى البعض ظروفًا سيئة تعسة تفقدهم طعم الحياة الهانئة، وتقلب بيض أيامهم إلى سود، ويغلب على حياتهم الحزن والتشاؤم"[٣].

وفي العصر الأموي "عادت حياة العرب الاجتماعية جاهلية في أكثر من جانب من جوانبها"[٤]، وهذا أدى إلى ظهور القلق والاضطراب فـ "مجتمع كهذا لا بد أن يكون تربة صالحة لظهور نزعة تشاؤم واضحة فيه تغذيها أحداثه وكوارثه ومتناقضاته"[٥]، وقد أثرت جميعًا في نشأة "تشاؤم واسع في نفوس الشعراء، يُرَدُّ بعضه وخاصة عند الخوارج والشيعة إلى اليأس من الحكم، ويرد بعضه وخاصة عند الموالي إلى التفاوت الواسع بينهم وبين العرب، ويتضخم

---

(١) ضيف (شوقي) دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف- القاهرة، ط ٥، بدون، ص١٠٦.

(٢) أمين (أحمد) فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون، ص٨٦.

(٣) عبد الرحمن (عفيف) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء، ص٥١، ٥٢.

(٤) خليف (يوسف) مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة، بدون، ٢٠٠٤، ص٣٨.

(٥) عبد الرحمن (عفيف) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء، ص٦٣.

في النفوس إحساسها بالشر، ويجري ذلك كله على ألسنة الشعراء فهم يفكرون في الحياة والسلطان الأعلى الذي يسيرها ويتحكم في الناس وفي حياتهم وشؤونها المختلفة"(١).

وقد نمت هذه الروح المتشائمة في العصر العباسي الأول، حيث أخذ الشعب "يتجرع غصص البؤس والشقاء، ويتحمل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق. ومردُّ ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد، وقد مضوا هم وبطاناتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة، بحيث كانت هناك طبقة تنعم بالحياة إلى غير حد، وطبقات قُتِّر عليها في الرزق، فهي تشقى إلى غير حد، واضطرب أوساط الناس من التجار وغيرهم بين الشقاء والنعيم"(٢).

أما في العصر العباسي الثاني فقد بلغت موجة التشاؤم ذروتها، فقد "أصبحت موجة عامة قل من لم تعمه، لفساد الأحوال السياسية، فإذا المناصب يتولاها غير أهلها، وإذا السعايات تفشو ويفشو معها ارتفاع الوضيع، وتعظم المحنة ويستسلم الناس إلى غير قليل من اليأس، ويحسون كأن لا أمل في الإصلاح، فقد عم الظلم واضطربت القيم وكأنما لم يعد للشر والنّكْر غاية ينتهيان إليها أوحد يقفان عنده، أو قل كأنما أصبحت الحياة يأسًا متصلًا، لذلك كان طبيعيًا أن نجد الشكوى على كل لسان، شكوى مريرة من الزمن وأهله"(٣).

---

(١) ضيف (شوقي) دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص١٠٦.

(٢) ضيف (شوقي) العصر العباسي الأول، سلسلة تاريخ الأدب العربي (٣)، دار المعارف، ط١٦، ٢٠٠٤، ص٤٥.

(٣) ضيف (شوقي) العصر العباسي الثاني، سلسلة تاريخ الأدب العربي (٤)، دار المعارف، ط١٢، ٢٠٠١، ص٢٤١.

ولم يكن عصر الدول والإمارات أحسن حالًا من العصر العباسي، فقد صاحب ذلك العصر تغيرات جذرية، تمثلت في الهجمات التي قام بها الغرب على الشرق الإسلامي والتي عرفت تاريخيًا بالحروب الصليبية، حيث "مضى العدو المغتصب، يبث الرعب في نفوس أبناء البلاد، وينشر الذعر في القرى والمدن، فلاقت المدن (المفتوحة) على يده أهول ما عُرف من ألوان التخريب والتدمير، ونال سكانها أقسى ما يستطاع من القتل والذبح والإحراق، فكان الفرنج في كل بلد يدخلونه يقتلون أهله، ويخربون عمرانه، ويحرقون كتبه ومتاعه وآثاره، فهام الناس على وجوههم في البراري"(١)، وقد كان لتلك التحولات السياسية أثرها البين على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والتي ألقت بظلالها على الحركة الأدبية والشعرية، وخلقت جوًا مواتيًا من اليأس والقنوط.

وهكذا "لا تزال عوامل الحياة على مر العصور، وما تحمله في طياتها من مظاهر ترف ونعيم لعلية القوم وبؤس وشقاء لعامة الشعب، تعمل على قلب الموازين واضطرابها، فتصبح النفوس حزينة، والقلوب باكية والألسن ناطقة"(٢). والعيش معكرًا؛ فتكون الحياة جحيمًا لا لذة فيها ولا راحة.

(١) بدوي (أحمد) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، بدون، ص١١.

(٢) الكعكي (ثريا بنت بشير بن محمد) التشاؤم عند عبد الرحمن شكري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، ص٤٣.

**٣ – العقاد مسيرة حياة ورحلة إبداع:**

العقاد هو "عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد"(١)، أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري "ولد بأسوان عام ١٨٨٩م. لأسرة مصرية متوسطة"(٢)، ذات "علم ودين"(٣).

وقد عُنيت أسرته بتعليمه حيث "أخذ يختلف منذ نشأته الأولى إلى الكتاب، ثم إلى المدرسة الابتدائية فالمدرسة الثانوية، وكان يلفت معلميه بذكائه ومواهبه الأدبية... ولم يتمم دراسته في المدارس والمعاهد الرسمية، بل أخذ يكملها بنفسه معتمدًا على ذهنه الحصيف، ثم التحق ببعض الوظائف الحكومية، ثم تركها إلى الصحافة، ثم عاد معلمًا للتلاميذ"(٤).

عُنِيَ العقاد بالتجديد من خلال "تزعم مدرسة أدبية ونقدية تدعو إلى مبادئ تجديدية"(٥)، وهي مدرسة الديوان، ولم يكن منظرًا فحسب بل "استطاع أن يطبق الأسس التي نادى بها في إصلاح الشعر ورقي الأدب غالبًا، فنظم شعره عليها... فتجلى في قصائده العمق في الفكر، وخصب الخيال، وإرهاف حسه ودقة مشاعره، ونفاذ بصيرته، وسعة اطلاعه وفلسفته وتحليله

(١) البقري، (أحمد ماهر محمود)، العقاد الرجل والقلم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر . الإسكندرية، بدون، ١٩٧٢م، ص١١.

(٢) قبش (أحمد)، تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، بدون، ص٢٢٧.

(٣) البقري، (أحمد ماهر محمود)، العقاد الرجل والقلم، ص١١.

(٤) قبش (أحمد)، تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٢٢٧.

(٥) المحسني (عبد الرحمن بن حسن بن يحيى) أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز في الفترة من سنة ١٣٥١هـ – ١٤٠٠هـ (دراسة نقدية وتطبيقية) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير. جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم: الأدب، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ص٢٩.

وتعليله..."[١]، وقد ظهر ذلك من خلال إسهاماته الشعرية الغزيرة، حيث بلغ "مجموع ما نشره شعرًا عشرة دواوين"[٢].

كما كان له دور بارز في إثراء الساحة الفكرية والأدبية، فقد "أخرج ما يقرب من مئة كتاب من تأليفه"[٣].

والمتصفح لمسيرة هذا العلم الفذ يجد نفسه أمام رجل موسوعي بكل ما تعنيه الكلمة، فـ "العقاد لم يكن شاعرًا فحسب، أو كاتبًا فحسب، أو ناقدًا فحسب، أو عالمًا فحسب، بل كان هذا كله مجتمعًا، وكان أكثر منه... فنحن إزاء العقاد.. إزاء العملاق نجد أنفسنا أمام قصة نادرة بين قصص الواقع تكاد تكون أسطورة بما اجتمع لها من ألوان التفرد والترفع والامتياز"[٤].

وقد بقي العقاد حاميًا للأدب والفكر ومخلصًا لهما حتى وافته المنية سنة ١٩٦٤م، وكان عمره آنذاك خمسة وسبعين عامًا.*

---

(١) انظر، صبح (علي علي مصطفى)، من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية، دار المريخ، الرياض، الطبعة١، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م، ص٤٤.

(٢) خليل (إبراهيم) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عَمان . الأردن، ط٥، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ص١٤٨.

(٣) القاعود (حلمي محمد)، تطور الشعر العربي في العصر الحديث، دار النشر الدولي للنشر التوزيع، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، ص٢٣١

(٤) فؤاد (نعمات أحمد)، قمم أدبية (دراسات وتراجم لأعلام الأدب المصري الحديث)، ص١٠٢.

* للاستزادة من سيرة العقاد، انظر: العقاد (عباس محمود)، حياة قلم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٦٩م، والعقاد (عباس محمود)، أنا، دار المعارف، القاهرة، بدون، وحسين (محمد بن سعد)، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، بدون، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، ص ٢٠٥ وما بعدها.

**٤ – دواعي التشاؤم عنده:**

إذا كان العرب في مختلف العصور قد عرفوا التشاؤم في الشعر، فإنه "لم يبلغ في عصر من العصور الأدبية ما بلغه في العصر الحديث حتى أصبح التشاؤم ظاهرة عامة امتدت لتشكل سمة من سمات الشعر العربي الحديث.. وقلما تقرأ مجموعة شعرية لشاعر فلا تجد فيها تلك الروح المتشائمة أو الحزينة عمومًا"(١).

ولا شك في أن البداية القوية لظاهرة التشاؤم في الشعر العربي الحديث، كان لها ارتباط بظهور مدرسة الديوان فقد "قامت دعوة الديوان في أساسها على محاولة العودة بالشعر إلى الذات بعد أن استهلكته قصائد المناسبات، ومُلئ الشعر بقصائد لا شعر فيها، ولا تتصل بذات قائلها إلا بالاسم لا بالحقيقة الشعرية القائمة على التفاعل بالتجربة ثم التعبير عنها... وأقرب الشعر إلى الذاتية التي نادت بها جماعة الديوان هو ذلك الشعر الذي يعبر عن نفسيات قائليه"(٢). غير أن تلك الذاتية "من لون مفعم بأحاسيس الأسى، ملئ بمشاعر المرارة، جياش بالحزن والضيق الذي يبلغ أحيانًا حد اليأس"(٣)، ولذا فإنَّنا نجد أن "نظرة شعراء الديوان عمومًا كانت نظرة غير متفائلة، يغلب عليها جانب التشاؤم والسوداوية، وتلك سمة قد تكون عامة عند الديوان، وعند كثير من الشعراء المعاصرين من بعدهم، ومن الصعوبة تعليل تلك السوداوية، أو إرجاعها إلى تعليل قطعي، غير أن مما لا جدال حوله أن الحياة في

---

(١) المحسني (عبد الرحمن بن حسن بن يحيى)، أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز، ص٢٢٣.

(٢) السابق، ص٢٢٢.

(٣) هيكل (أحمد)، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، بدون، ط٦، ١٩٩٤م، ص١٦٢.

عصرنا الحديث قد تعقدت"[١]، فقد "عاش أصحاب الديوان في فترة قلقة من حياة مصر اختلطت أثناءها الآراء والمذاهب السياسية وشاعت خلالها روح التمزق الاجتماعي"[٢].

لقد كانت تلك المرحلة حافلة بالاضطرابات والأحداث الكبرى حيث، "كان يجثم الاحتلال الإنجليزي على صدر وادي النيل، ولم يكن الشباب المصري حينئذٍ مبتهجًا، بل كان حزينًا حزنًا شديدًا إذ كان يعاني أزمة الحياة، وكان لا يستطيع تحقيق آماله، بل كان يرتد دائمًا عن تحقيقها بائسًا يائسًا، ولا يستطيع شاب أن ينال منها غير الضَّنى والحزن والمرارة"[٣].

وعن ذلك العصر يقول العقاد: "كان عصرنا برج بابل، يبنى ويعاد بناؤه بين عام وعام، كما نعيش في عصر الجامعة الإسلامية على مذاهب، ونعيش في عصر الجهاد الوطني على مذاهب، ونعيش في عصر التجديد الفكري على مذاهب، ولا نرى أمامنا مذهبًا واحدًا في قضية من قضايانا الكبرى"[٤].

ويرى العقاد أن زمنه ينطبق عليه وصف (شارلز ديكنز) لعصر الثورة الفرنسية، إذ يقول: "من الكلمات التي قرأتها ولم أنسها منذ قرأتها، كلمة الروائي العبقري (شارلز ديكنز) في الفصل الأول من قصة المدينتين حيث يقول عن عصر الثورة الفرنسية: إنه كان أحسن الزمان وكان أسوأ الأزمان، وكان عهد اليقين والإيمان وكان عهد الحيرة والشكوك، كان أوان النور وكان أوان الظلام،

---

(١) المحسني (عبد الرحمن بن حسن بن يحيى)، أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز، ص٢٢٢.

(٢) شوكت (محمود) وعيد (رجاء) مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر (بحث تاريخي وتحليلي مقارن) دار الفكر العربي، بدون، ص١٤٨.

(٣) ضيف (شوقي)، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط١٣، بدون، ص١٣٣.

(٤) العقاد (عباس محمود)، حياة قلم، ص٤٤

كان ربيع الرجاء وكان زمهرير القنوط، بين أيدينا كل شيء وليس في أيدينا أي شيء، وسبيلنا جميعًا إلى قرار الجحيم... تلك أيام كأيامنا هذه التي يوصينا الصاخبون من ثقاتها أن نأخذها على علاتها، وألا نذكرها إلا بصيغة المبالغة فيما اشتملت عليه من طيبات ومن آفات"(١).

كما كان للتسابق السريع في التمدن دورٌ بارزٌ في موجة الكآبة والحزن في عصر العقاد، حيث بدا الاختلاف كبيرًا وبينًا بين حياة المدينة وحياة القرية أو الريف، حياة القرية الوادعة الهادئة التي اعتاد أهلها على الرضا بالمقسوم، والعيش في جو أخوي يسوده العطف والتلاحم، وفي المقابل كانت حياة المدينة على الضد، إذ ينتشر فيها الصخب والضجيج، وتشكل الطبقات الاجتماعية بونًا شاسعًا، وهوة عميقة بين فئات المجتمع، مما أدى إلى تفشي الأنانية بين أفراده، وانفصام عرى التواصل بينهم. ولا شك أن تلك الظروف قد ألقت بظلالها على النفوس "فالبيئة العامة كان يسودها السخط والسأم، وكانت مليئة بالشكوى في الأدب والحياة العامة، حتى غدت غرضًا من أغراض الشعر في ذلك الوقت بحيث لا يقرع سمعك إلا آهة متأوّه أو نشيج محزون"(٢). وقد عبر العقاد نفسه عن دور التمدن في موجة الكآبة والحزن، فقال: "إن كان هذا العصر قد هز رواكد النفوس، وفتح أغلاقها، فلقد فتحها على ساحة من الألم تلفح المطل عليها بشواظها، فلا يملك نفسه من التراجع حينًا، والتوجع أحيانًا، وهو العصر، طبيعته القلق والتردد بين ماض عتيق، ومستقبل مريب، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون، وبين ما هو كائن، فغشِيَتهم الغاشية، ووجد كل ذي نظر فيما حوله عالمًا غير الذي صورتْه لنفسه حداثة العصر وتقدمه، والشاعر بجبلته أوسع من سائر الناس خيالًا؛ فالمثل الأعلى أرفع في ذهنه منه في أذهان عامة الناس، وهو ألطفهم حسًّا،

(١) دياب (عبد الحي)، عباس العقاد ناقدًا، دار الشعب . القاهرة، بدون، ص٧١.

(٢) دياب (عبد الحي)، عباس العقاد ناقدًا، ص٧١،٧٠.

فألمه أشد من ألمهم، وإنما يكون الألم على قدر بعد البون بين المنتظر وبين ما هو كائن، فلا جرم إن كان الشاعر أفطن الناس إلى النقص، وأكثرهم سخطًا عليه"(١).

وفي هذا العصر تبدلت الأخلاق والقيم وشاعت: "أمراض النفاق والرياء الاجتماعي وحقق الوصوليون مغانمهم"(٢)، وفي الوقت نفسه "انسد باب الأمل أمام طلاب العلا الذين أخذوا يسائلون أنفسهم من أين يكون منفرج الطريق؟"(٣)، وما العمل للتصدي لهذه الفتن والشرور؟

وقد كان العقاد متفردًا "بطموحه وتوثبه وتمرده على القيم المألوفة المتعارف عليها لدى المصريين في ذلك العصر"(٤)، مقاومًا لكل صنوف الخنوع والإذلال، طامحًا إلى الكمال والتفرد "فلاقى كثيرًا من الصعاب والمشقات وضحى براحته وأمنه، ولم ينج من الاضطهاد والظلم والعسف والحيف، ولكن ذلك كله لم يزده إلا عنادًا وتحديًا وإصرارًا في التمسك بما يراه الحق، غير هياب ولا وجل مما يصيبه من أضرار؛ لأنه قد اختار لنفسه هذا الطريق الوعر الشائك على طريق الأمن والسلامة"(٥).

كما كان "لاتساع ثقافته المتصلة بالشعر الأوربي، الذي اتسم آنذاك بطغيان هذه النزعة المتمردة السوداوية التي طغت على الشعر الغربي"(٦) أثر

---

(١) مقدمة العقاد لديوان المازني (إبراهيم عبد القادر)، ديوان المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون، ص١٩.

(٢) انظر شوكت (محمود) وعيد (رجاء)، مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر: بحث تاريخي وتحليلي مقارن، ص١٤٩.

(٣) دياب (عبد الحي)، عباس العقاد ناقدًا، ص٧١.

(٤) السابق، ص٧١.

(٥) السابق، ص١٧٦، ١٧٧.

(٦) شوكت (محمود) وعيد (رجاء)، مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر بحث تاريخي وتحليلي مقارن، ص١٨٨.

بالغ في ظهور النزعة الرومانسية في شعره حيث كان "من أهم ما يميزه استيعابه للفكر الغربي، وهو يعلنه منذ ديوانه الأول ولا يخفيه، فقصيدته الرابعة فيه معربة عن (شكسبير) وعنوانها (فينوس على جثة أدونيس)، ونمضي في الديوان فنجده يترجم له قطعة من مسرحية (روميو وجولييت)، كما نجده يترجم قطعة عن الشاعر الإنجليزي كوبر بعنوان (الوردة) ويترجم عن (بوب) قطعة بعنوان (القدر). وهذه القطع المترجمة ليست أكثر من رموز إلى ثقافته بالآداب الغربية وهي ثقافة تتعمقه..."[١].

وإذا ما مضينا نتلمس أثر الثقافة الغربية في قصائد العقاد "فإننا نحس نفس الإحساس إزاء كثير من قصائده بدواوينه المختلفة في الطبيعة والحب، ففيها جميعًا أثر قراءاته في الآداب الغربية، ولكنها مطبوعة بشخصيته، وتستمد من أفكاره وأحاسيسه ما يجعلها مصرية عربية صميمة"[٢].

وكيف لا يكون تأثير الثقافة الغربية بهذا العمق وقد "تكونت منهم مدرسة –على نحو ما يقول العقاد–أوغلت في القراءة الإنجليزية، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر، وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين"[٣].

يضاف إلى بواعث الحزن والتشاؤم السابقة أن هذه النزعة ربما تكون كامنة في نفسه، وإلا ما الذي جعله يعجب بأصحاب هذه النزعة في تراثنا الأدبي؟ وقد بدا هذا الإعجاب من خلال إفراده لبعضهم بدراسة مستقلة. ومن أولئك الأعلام الذين خصهم باهتمامه ابن الرومي، "الذي كان يتفق مع روح

---

(١) ضيف (شوقي)، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١٤١، ١٤٢.

(٢) السابق، ص١٤٤.

(٣) داود، أنس (رواد التجديد في الشعر العربي الحديث)، مكتبة عين شمس، بدون، ١٩٧٥، ص٥٣.

جماعته الأدبية المتشائمة، ولعل ذلك ما جعله يخص ابن الرومي بكتاب، فقد شغف به منذ فجر حياته الشعرية، لأنه وجد عنده نفس الأنغام التي كانت تعجب بها مدرسته، أنغام الحزن والشكوى من الدهر والناس"[١].

وقد أعجب به أشد الإعجاب؛ لأنه "يرى فيه شاعرًا وصافًا لا نظير له في آداب الدنيا على كثرة ما فيها من وصف ووصافين، فهو حين يكتب عنه يجد رضا نفسه في الكتابة. إنه يرتاح حين يعطيه حقه ويرفعه إلى حيث يجب أن يكون"[٢].

كما عارض بقصيدته (الحب الأول) قصيدة لابن الرومي، قال في سبب نظمها: "كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاي الشاعران النابغان المازني وعلي شوقي قصيدة ابن الرومي النونية التي يمدح بها أبا الصقر ويقول في أولها:

أَجْنَتْ لَكَ الْوَرْدَ أَغْصَانٌ وكُثْبَانُ فِيهِنَّ نَوْعَانِ: تُفَّاحٌ ورُمَّانُ
وَفَوْقَ ذَينِكَ أَعْنَابٌ سُودٌ لَهُنَّ مِنَ الظَّلْمَاءِ أَلْوَانُ[٤]

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها. فنظم المازني قصيدته في مناجاة الهاجر،

---

(١) ضيف (شوقي) الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١٤٠.

(٢) انظر، فؤاد (نعمات أحمد)، قمم أدبية (دراسات وتراجم لأعلام الأدب المصري الحديث)، الناشر عالم الكتب. القاهرة، بدون، ١٩٦٦م، ص٩٣، ٩٤.

(٣) مُهَّدَلَةٌ: هَدَلْتُ الشيء أَهْدِلُهُ، إذا أرخيته وأرسلته إلى أسفل، وتهدَّلت أغصان الشجرة، أي: تدلَّت. الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ج٤، ص١٨٤٨.

(٤) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج٦، ص٢٤١٩.

ونظم شوقي قصيدة في هذا المعنى، ونظمت أنا هذه القصيدة فأهديتها إلى روح ابن الرومي"[١]، يقول في مطلعها:

يُهْنِيكَ يا زَهْرُ أَطْيَارٌ وأَفْنَانُ الطَّيْرُ يُنْشِدُ والأَفْنَانُ عِيدَانُ[٢]

كذلك وجدنا العقاد يعجب بشخصية تراثية أخرى عُرفت بالنزعة التشاؤمية، وهي شخصية أبي العلاء المعري. وقد ظهر إعجابه من خلال تأليفه لكتاب خاص بهذه الشخصية بعنوان (رجعة أبي العلاء)، وهذا الكتاب يدل على أن قراءة العقاد كانت متعمقة لهذا الشاعر الذي يعد عميدًا للمتشائمين"[٣]، كما نجد في ديوانه قصيدة بعنوان (المعري وابنه)[٤]. ويقول صلاح عبد الصبور إنه "لو حاول أن يحصر ما أخذه العقاد من معاني أبي العلاء لضاق عن ذلك المجال المحدود"[٥].

ومن أسرار ذلك القلق الذي عاناه العقاد تأمله العميق، فالحياة لا قيمة لها بدون تطلع إلى اكتشاف المجهول، و "لعل نظرات العقاد التي تتسم بالطابع الذهني والتجريد التأملي قد التقت مع الحزن والشقاء في لقاء يلائم طبيعته واستعداده الذاتي، ففي كثير من شعر العقاد تأملات في فلسفة الأشياء،

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، منشورات المكتبة العصرية . بيروت، بدون، ج١، ص٦٧.

(٢) السابق، ج١، ص٦٧.

(٣) انظر المحسني (عبد الرحمن بن حسن بن يحيى) أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز في الفترة من سنة ١٣٥١هـ – ١٤٠٠هـ (دراسة نقدية وتطبيقية)، ص٢٢٥.

(٤) العقاد (عباس محمود) ديوان العقاد، ج ٢، ص٢١٦ . ٢١٨.

(٥) عبد الصبور (صلاح)، ماذا يبقى منهم للتاريخ (دراسات في أدب: طه حسين، عباس العقاد، توفيق الحكيم، إبراهيم عبد القادر المازني)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بدون، ص٦٧.

وتفسير مفصل لها، كما في قصائد (الإنسان والوحش)، و (ألم اللذة ولذة الألم)، (وعظة الجمال بين العقل والجنون)"[١].

ولعل من أبلغ الأسباب التي دفعت العقاد إلى التشاؤم أنه "كان مرهف الإحساس شديد التأثر لا يطيق الألم في نفسه أو نفوس الآخرين وخاصة الألم الذي لا قبل للإنسان بدفعه أو تفاديه"[٢].

وقد دفعه هذا الإحساس المرهف للتنقل بين عدد من الوظائف، يقول "اشتغلت بعدة وظائف حكومية كنت أستقيل منها واحدة بعد الأخرى نفورًا من قيودها الثقيلة وتكاليفها الغثة أو رغبة في الدعة والعلاج لما كان ينتابني أحيانًا من الضعف والسقم"[٣].

وأسهم في تعميق هذا الشعور "سبب مهم وهو أن العقاد في العشرينات من هذا القرن نزلت بحنجرته نزلة أوهمت أطباءه أنها ذات الصدر، وصادفته خاليًا من العمل فقيرًا، وعلى الرغم من أن الفحص الطبي الدقيق قد أثبت للعقاد أن صدره سليم، فقد أثر ذلك في العقاد حتى آخر حياته مبالغة في المحافظة ودقة في نُظم الطعام والشراب والراحة"[٤].

وهكذا كان لهذه العوامل المختلفة أثر في "الضيق النفسي من ناحية، وظهور الفردية من ناحية أخرى، وشيوع الشجن والأسى في شعر أصحاب

---

(١) شوكت (محمود) وعيد (رجاء)، مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر (بحث تاريخي وتحليلي مقارن)، ص١٩٠.

(٢) فؤاد (نعمات أحمد)، قمم أدبية (دراسات وتراجم لأعلام الأدب المصري الحديث)، ص٩٧.

(٣) عبيد (أحمد)، مشاهير شعراء العصر في الأقطار العربية الثلاث (مصر وسورية والعراق)، المكتبة العربية . دمشق، ط١، ١٣٤١هـ، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٤) الوكيل، العوضي (العقاد والتجديد في الشعر)، مطبعة المعرفة، بدون، ١٩٧١م، ص٧٧.

مدرسة الديوان"[١] بشكل عام والعقاد بصفة خاصة، و من ثم بروز الروح التشاؤمية، تلك التي أطلق عليها الدسوقي (مرض العصر)[٢]، "حيث ندر أن نلفي شاعرًا محدثًا لم تصبه عدوى ذلك المرض، فالكل يشكو ويندب حظه المرير"[٣].

غير أن "إرجاع هذه المظاهر إلى الأسباب الثقافية وقراءتهم في الشعر الرومانتيكي والشعر العربي القريب من الدائرة الرومانتيكية هو أصح الأقوال جمعيًا، وهو السبب المباشر للتجديد في شعرهم وصبغه بهذه الصبغة الحزينة القلقة المتألمة. أما الأسباب الاجتماعية والسياسية والحياة الخاصة والأسباب النفسية، فهي أسباب غير مباشرة تأتي في المركز الثاني وأثرها قاصر على تدعيم صبغة الحزن والسخط على الحياة والتشاؤم والثورة فقط"[٤].

(١) شوكت (محمود) وعيد (رجاء) مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر (بحث تاريخي وتحليلي مقارن)، ص١٤٩.

(٢) الدسوقي (عبد العزيز)، جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون، ١٣٩١هـ ١٩٧١م، ص١٠٤.

(٣) حبيبي (محمد بن حمود بن محمد)، الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث، إلى بداية التسعينيَّات الهجرية (دراسة موضوعية وفنية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع الأدب، ١٤١٥هـ، ص١٦٤.

(٤) جعفر (سعاد محمد)، التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، جامعة عين شمس، كلية الآداب، بدون، ص٤٣٤.

## الفصل الأول: مظاهر التشاؤم:

### المبحث الأول: الذات المتشائمة:

كل إنسان يسعى أن يكون هادئ النفس قرير العين هانئ البال، وذلك ولا شك مطلب ملح به تحلو حياة الإنسان ويطيب عيشه، إلا أن هذا المطلب عزيز، فقلما يصل الإنسان إلى سكون الجأش وطمأنينة النفس؛ حيث تعترضه – في الغالب – عراقيل كثيرة وآفات متعددة، فحياته لا تخلو من المصائب والآفات، التي تنغص العيش وتكدر الصفو، فتذهب براحة النفس وتقضي على استقرارها.

والعقاد – كغيره من الناس – عاش تجارب غمرته بمرارتها، وقاساها لوحده فـ "قد طبع على أن يتحمل آلامه وحده، وما أكثر تلك الآلام. وطبع على أن يغامر في الحياة وحده وما أكثر تلك المغامرات"(١)، وهذه المغامرات وتلك الآلام تركت جراحات غائرة في نفس العقاد حتى "قال عن نفسه إنه قليل المرح"(٢)، بل رأى أنه أشقى الناس، يقول صاحبه محمد الجبلاوي: "كنت أسير معه ذات مرة في الطريق عقب حفلة تكريم قد أقيمت له، فرأيت بعض الناس يشيرون إليه بالبنان. فلفته إلى ذلك قال: ألا يدري هؤلاء أن الرجل الذي يشيرون إليه هو أشقى رجل في الحياة!"(٣).

لقد كان العقاد يملك نفسًا طموحة متطلعة، باحثة عن الحقيقة "وهذا هو سر ذلك القلق الذي يعانيه العظماء والمفكرون في كل مكان، وهو قلق يصحبه

---

(١) العقاد، عامر، غراميات العقاد، ص٣٢.

(٢) السابق، ص١٤.

(٣) الجبلاوي (محمد طاهر)، من ذكرياتي في صحبة العقاد، ص١٥٩.

الحزن، بل قد يبلغ درجة التشاؤم، ولكنه تشاؤم يفضلونه على تفاؤل أهل الغفلة وضحك الجاهلين والأغبياء"(١).

ولعل اختياره لطريق الحرية والعزة والكرامة كان أحد مصادر شقائه، فـ "قد صور شقاءه من البلاء الواصب الذي أطبق عليه من كل جانب لاختياره ذلك الطريق الوعر الشائك، ولكن شقاءه في نفسه هو الشقاء الذي تهون إلى جانبه كل عداوات الأعداء"(٢):

إنَّ الشَّـقِيَّ الَّذِي لا صِـنْوَ يُشْـبِهُهُ ... وِلِلْأَصَـاغِرِ أَشْبَـــاهٌ وأَمْثَـــــالُ
مَنْ شَـــابَهَ النَّاسَ سَـــرَّتْهُ مَوَدَّتُهُمْ ... وَمَنْ عَلَا عَنْهُمُ سَـــاءَتْ بِـهِ الحـالُ
فَـاهْنَـأْ بِمَجْـدِكَ إذْ تَشْـــقَى بِعُزْلَتِـهِ ... وَلْيَحْظَ بِـالصَّـــفْوِ أَوْغَـادٌ وَجُهَّـالُ(٣)

فهمته العالية كلفته شقاءً لا يدانيه فيه أحد، فـ "لقد لاقى كثيرًا من الصعاب والمشقات وضحى براحته وأمنه ولم ينج من الاضطهاد والظلم والعسف والحيف، ولكن ذلك كله لم يزده إلا عنادًا وتحديًا وإصرارًا في التمسك بما يراه الحق غير هياب ولا وجل مما يصيبه من أضرار، لأنه قد اختار لنفسه هذا الطريق الوعر الشائك على طريق الأمن والسلامة"(٤)، وهو يرى أن هذا الطريق خليق أن يكابد العذاب من أجله:

هُمَا سَبِيلَانِ مَنْ يَبْغِ السَّلامَـــــةَ لَا ... يَـأْسَـــفْ عَلَى الْحَقِّ أَوْ يَحْلُمْ بِرُؤْيَـاهُ
وَمَنْ بَغَى الْحقَّ فِي الدُّنْيَا فَلَا أَسَـفٌ ... عَلَى السَّلَامةِ إِنْ خَانَتْـهُ دُنْيَـــــــاهُ
قَدْ يَهْجُرُ الأَمْنُ مَنْ ذَلُّوا وَمَنْ وَهِنُوا ... وَمَا تَفَرَّقَ قَـطُّ الهَـوْلُ والجَـــــــاهُ
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ: إِمَّا المجْدَ فِي خَطَـرٍ ... أَوْ الهَـوَانَ، وَقَدْ تَشْقَى بِبَلْـــــــوَاهُ

(١) غراب (أحمد عبد الحميد)، عبد الرحمن شكري، سلسلة الأعلام (١١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون، ١٩٧٧م، ص١٤٥.
(٢) دياب، عبد الحي، عباس العقاد ناقدًا، ص١٧٧.
(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج١، ص١٤٣.
(٤) دياب، عبد الحي، عباس العقاد ناقدًا، ص١٧٦، ١٧٧.

ومَا اخْتِيَارُكَ إِلَّا مـــَا خُلِقْتَ لـــَــهُ  إِنَّ الطَّبَائِعَ مـَا تَرضـَاهُ نَرضـَـــاهُ[١]

إنه يعلم تمام العلم أن المعالي محفوفة بالمخاطر، متطلبة للتضحيات، وأن السلامة لا تجتمع مع المجد، وفي المقابل رضا الإنسان بالدون لا ينجيه من الشقاء. وسواء أسلك الإنسان المعالي أم رضي بالدون؛ فإن ذلك لا يكون باختيار منه بل هو مغلوب على أمره مجبر على اختياره، وهذا الاعتقاد هو اعتقاد الجبرية القائم على "نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الرب تعالى"[٢].

ويرى العقاد أنه مختلف عن سائر الناس، فقد خلق لطلب المحال، ولذا آلَ قلبه أن يهجر اللهو والعبث؛ لأنه يرنو إلى شيء يُعد محالًا عند غيره:

تَغُوصُ عَلَى الأَوْجَاعِ بَهْرًا[٣] كَـأَنَّنِي  بَـرِيءٌ مِـــنَ الأَوْجَـــاعِ لَا أَتَمَلْمَـل
فَيَالَكَ مِنْ قَلْبٍ إِذَا مَا تَعَلَّلَـــــــتْ  قُلُوبُ الوَرَى لَمْ يُغـْــــنِ عَنْهُ التَّعَلُّلُ
تَعَلَّـــقَ إِلَّا بالمُحَـــالِ رَجَـــــاؤُهُ  وَأَقْسَـــمَ لَا يَلْهُـــــــو وَلَا يَتَـــأَوَّلُ
ضُـــمِنْتَ كدُفَّاعِ الضِّـــرَامِ لَوَاعِجًا  أَأَنْتَ لنِيـــرَانِ اللـــوَاعِجِ هَيْكَـــلُ؟[٤]

لقد كان لسقف مطالبه العالي الذي وصل إلى درجة المستحيل أثر كبير على شعوره بالشقاء والتعاسة إلى درجة اضطرام النيران في قلبه، بل أصبح ذبيحًا تكسرت فيه النصال، يعاني من ألم الطعنات وهو ألم يتعذر الشفاء منه؛ لأن شظايا الحديد مستقرة في فؤاده، بل إنها تضاعف داءه في كل لحظة، واستمرارها فيه مؤذن بانتشار المرض. ثم إن هذه الطعنات متعددة ومتفرقة، وهي لا تفتر من النزف فكيف يمكن شفاؤها:

---

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٥، ص٤١١.

(٢) الشهر ستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)، الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العالمية . بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ص٧٢.

(٣) بَهْرًا: بَهَرَه بَهْرًا، أي: غلبه. الصحاح، ج٢، ص٥٩٨.

(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١١٠.

فَيـــا مَـــنْ يَرَانِي وَالفُؤَادُ كَأَنَّـهُ ذَبِيحٌ تَشَظَّـــى فِي تَرَاقِيـــهِ مُنْصَلُ[١]

ويـــا مَـــنْ يَرَانِي والظَّلامُ كَأَنَّـهُ إذَا اللَّيْلُ أَغْضَـــى قَاتِـــلٌ يَتَزَمَّـــــلُ

أُضَمِّدُ جُرْحِي باليَدَيْنِ وفِيهِمَـــــا جِرَاحٌ يُغَشِّـــيهَا النَّجِيعُ[٢] المُسَـــلْسَـــلُ

وأَحْمِلُ نَفْسِي وَهْيَ وَلْهَى طَلِيحَـــةٌ إذَا الْتَـامَ مِنْهَـا مَقْتَـلٌ سَـــالَ مَقْتَلُ[٣]

إننا نشعر أن فؤاد الشاعر قد دخل أتون معركة شرسة، وأن الأسلحة تتناوشه من كل جانب، ولا حول له ولا طول فلا عدة له يدفع بها، ولا ضمادات لوقف الدماء السائلة، ولا مؤنس ومعين، فهو يعاني الوحدة والغربة النفسية، ورتابة الزمن بما فيها من بؤس وشقاء. فقد تساوت جميع أيامه بل أعوامه:

أَتَى نَاجِـــرٌ[٤] وانْقَضَى نَاجِـــرٌ ومِثْـــــلُ غَـــدٍ أَمْسِ الدَّابِـــرُ

طَلِيـــــقٌ ولَيْسَ لَهُ مَذْهَـــبٌ وَعَـــــانٍ وَلَيْـــسَ لَـــهُ آسِرُ

وَجِـــارٌ ولَكِـــنَّ جِيرَانَـــهُ لهَـــــمٌ وَطَـــرٌ وَلَـــهُ آخَـــرُ

أَلِيـــفُ الجِبَـــالِ ويـــا وَحْشَـــةً لمَـــنْ إِلْفُهُ الجَبَـــلُ البَاسِـــرُ[٥]

ومما زاد همه وضاعف غمه، وكدر عليه صفوه، عدم تحقيق مطالب الذين يرجونه، وينتظرون منه أن يحقق أمانيهم، ومع ذلك فهو لا يتنازل عن هذه العظمة بل يأمر نفسه بلزومها، مع يقينه بتكاليفها الباهظة التي كلفته راحته وطمأنينته. لأنه من العظماء الذي يحترقون من أجل إنارة الدروب للآخرين:

---

(١) مُنْصَل: النَّصْل: نصل السهم والسيف والسكين والرمح، والجمع نصول ونصال. الصحاح، ج٥، ص١٨٣٠.

(٢) النَّجِيعُ: النجِيعُ من الدم: ما كان إلى السواد، وقال الأصمعي: هو دم الجوف خاصة. الصحاح، ج٣، ص١٢٨٨.

(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١١٠.

(٤) نَاجِـرٌ: شهر ناجِر: كلُّ شهرٍ في صميم الحر، لأن الإبل تَتْجَرُ في ذلك الشهر، أي: تعطش، فلا تكاد تَروى من الماء. الصحاح، ج٢، ص٨٢٣.

(٥) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٤٧.

كـــنْ عَظِيمـــــًا ولَا تَلُومـــَـنَّ إلَّا ... هِمـــــَّـــةً كَلَّفَتْـــكَ هَمًّا جَسِيمَـــا
كـــلُّ رَاجٍ يُلْقِـــي عَلَيْكَ مُنـــــَـاهُ ... فـــَـــــإذَا خَابَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَلُومَـــا
تُنْصِـفُ الأُمَّةُ الضَّـعِيفَ ولا تُنْصِـ ... ـفُ يَوْمـــًا عَظِيمَهـــَا الْمَظْلُومـــَـا[1]

وهو مع توالي هذه المصائب لا زال طامحًا للخلاص منها، لذا فهو يحاول أن يتحامل على جراحه، ويتغلب على آلامه، فينادي قلبه مهيبًا به أن يصبر مهما كان حجم المصاب:

يا قَلْبُ صَـــبْرًا أَجَدَّ الخَطْبُ أمْ هَزَلَا ... مـــَـــا تِلْكَ أَوَّلُ بُؤْسَى خَيَّبَتْ أَمـــَـــلَا
حَسْـبُ الرَّزِيئَـةِ مِنَّـا أَنْ نُصَافِحَهَـا ... هُنَيْهَـــةً، ثُـمَّ نَلْهُـو بَعْدَها جَـــــذَلا
قـَدْ طَالمَـا نَزَلْتَ ضَيْفًـا بِسَاحَتِنَـــا ... والضَّيْفُ ليسَ يُصِيبُ الدَّهْرَ مُحتَفِـــلًا
إنـَّا قَرِيْنَـــا الرَّزَايـَا مِـنْ مَدَامِعِنـــَـا ... وقـَـدْ نَضَبْنَ، فماذا تَشْتَهِي بـــَـدَلا؟[2]

ولا شك أنه "أراد بهذا المنادى . وهو نكرة مقصود . الإمعان في اللامبالاة، يريد أن يتماسك، أن يحتفظ بهدوئه، فيقرن الجد بالهزل، فالخطب سيان، وليست هذه المرة الأولى التي يخيب فيها أمله.. لشدة ما دهته الرزايا وابتلته فاصبحا صديقين يتصافحان، ويستضيفها الشاعر كما يستضيف الصديق صديقة... وليس أعجب من هذا الاطمئنان إلى البأساء ومصاحبتها، ولكنه سبيل الشاعر الذي لم يحد عنه... معايشة للصعاب واستهانة بالرزايا وسخرية من الخطوب"[3]، فنحن نراه "يعبر عن شدة إشفاقه من شرور الحياة، وشدة صبره عليها، صبرًا يشعره بالثقة أمامها، ويسوغ له تقبل مرها، وتحمل بأسها"[4]، فهي تختاره دون غيره، وتحول الحسن إلى قبح، حتى أصبح

(١) السابق، ج ٥، ص ٤٠٩.
(٢) السابق، ج ١، ص٩٦.
(٣) انظر، العمري (زينب عبد العزيز)، شعر العقاد، دار العلوم للطباعة والنشر، بدون، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ص ٢٩٣، ٢٩٤.
(٤) التونسي (محمد خليفة)، العقاد دراسة وتحية "بمناسبة بلوغه السبعين "، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون، ص١٥١.

يستسيغها ويرحب بها، بل يسر بما هو كمد عند غيره، لأنه لم يجنِ من الجزع إلا الوصم بالجنون، لذا فلا سبيل إلا الصبر والتجلد:

يـــا لَيْلُ لَوْنُـكَ فِي اللواحِـظِ إثْمَـدُ ... إلَّا لـــدَيَّ فَمِـــنْ غُبـــارٍ يُرْمِـــدُ
أوَّاهُ مِـــنْ عَبَـثِ الحَيَـاةِ وَسُـوءِ مَا ... يَجـــنِي الزَّمَـــانُ وشَـــرِّ مَا يَتَوَعَّـدُ
لَا أَشْتَكِيهِ فَقَـدْ أَمَـــرَّ فَسَـاغَ لِي ... مـــــالَا يَسُـــوغُ وَسَـــرَّنِي مَا يُكْمِـدُ
وَجَزَعْتُ حَتَّى قِيلَ جُنَّ مِنَ الْأَسَـــى ... وَصَـــبَرْتُ حَتَّى قِيلَ صَـــخْرٌ جَلْمَدُ
أُبْدِي التَجَلُّدَ وَالتَجَلـــــدُ فِي الأَسَى ... بَعْضُ الرِّيَـاءِ وَبَعْضُهُ قَـدْ يُحْمَـــدُ(١)

لقد احرقت الآلام فؤاده، لذا نراه يرسل هذه التأوهات لعل إخراجها يكون تنفيسًا عنه، لاسيما وهو مصاب في حاضره، قلقٌ مما يخبئه له مستقبله، فلم يعد لديه ما يرجو، ولكن على الرغم من شعوره بأن "آماله قد خابت إلا أن الأماني لا يتركنه وشأنه بل ما زلن به يحرضنه ويسخرن منه كما تسخر الغادة الحسناء من الشيخ الهرم بعد أن توقعه في غرامها"(٢):

مـَا لِلأَمَانِي يَسْتَضْحِكْـنَ لِي غَـــرَرًا ... وقَـدْ سَلَوْتُ وَيَسْتَحْدِثْـنَ لِي غـَزَلَا
كَالغِيْدِ(٣) يَضْحَكْنَ مِنْ ذِي كَبْرَةٍ هَرِمٍ ... بالدَّاءِ عَنْ ضَحِكَاتِ الغِيدِ قَدْ شُغِلَا
يُوسِعْنَـــهُ رَغْبَـةً فِيهِـــنَّ كَاذِبـــــةً ... حَتَّى إذَا مَـا صَبـَا أَوْسَعْنَـــهُ خَجـَـلَا
لَقَـــدْ عَلِمْـــــنَ بِأَنَّ اليـــــأْسَ ... عَنْهُـــنَّ فَاحْتَلْـنَ لِاسْتِدْرَاجِـــيَ الحِيَلَا(٤)

فالأماني تتزين له، وتغريه، ليس حبًا فيه وإنما خداع له، ولعب بمشاعره، بغرض إيقاعه في فتنتها ثم التمنع عنه، لتزيد بذلك حسراته وتتضاعف آلامه، كما يحدث للعجوز المتصابي، ولكن مهما حاولت الأماني استدراجه، واتخذت الحيل للإيقاع به فإنها لن تستطيع، لأن اليأس قد سيطر على نفسه، لدرجة أنه اختار أن يهيم على وجهة، وأن يبقى حائرًا قلقًا:

---

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٤٨، ١٤٩.
(٢) العمري (زينب عبد العزيز)، شعر العقاد، ص٢٩٤.
(٣) الغِيْدِ: الغَيَدُ: النعومة. يقال: امرأة غَيْدَاءُ، أي: ناعمةٌ. الصحاح، ج٢، ص٥١٧.
(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص٩٧.

دَعُونِي أَسِرْ فِي سَاحَةِ العَيْشِ مُفْرَدًا ... مُغَمًّى فَلَا أَدْرِي مَصِيرِي وأَوَّلِي

ولَا تَعْذِلُونِي إنْ يَئِسْتُ فإنَّنِي ... أَرَى الْيَأْسَ أَعْلَى مِنْ رَجَاءِ الْمُذَلَّلِ

أَرُونِي رَجَاءً فَوْقَ يَأْسِي فَأَنْبِرِي ... إِلَيْهِ وَعُدُّوا عَنْ رَجَاءِ التَّسَفُّلِ[1]

لقد تمكن منه اليأس بسبب رجائه لعظائم الأمور، فهو لا يقنع بالدون، لذا كان اليأس مستحكمًا لا بارق فيه لأمل، فقد وجد كل الأبواب موصدة، ومن هنا أخذ يزجر السعادة وينهرها، لتبتعد عنه، ولتترك ذلك التزين والإغواء، لأنه "أصبح على يقين أو ما يشبه اليقين من أنه لن يبلغها"[2]، فليس من أهلها، فقد "بحث عن السعادة حتى تعب وسئم ووجد أنها برق خلب لا طائل تحت البحث عنه والجري وراءه، فيمم وجهه شطر هدف آخر وغرض جدير بالاجتهاد، وأعلن السعادة برفضها وحذرها من أن تمر بباله لأنه لن يمر ببالها"[3]، فهي لا تثمر إلا الذل والشقاء، لأنها خيال خادع، جرب اللحاق به طويلًا، فلم يجده شيئًا، بل وجد ذلك الخيال موصلًا إلى الأسر والشقاء:

مَهْ يَا سَعَادَةُ عَنِّي ... فَمَا أَنَا مِنْ رِجَالِكْ

لا تَطْمَعِي الْيَوْمَ مِنِّي ... بِالسَّعْيِ خَلْفَ خَيَالِكْ

فَقَدْ سَأَلْتُكِ حَتَّى ... مَلَلْتُ طُولَ سُؤَالِكْ

فَلَا تَمُرِّي بِبَالِي ... وَلَا أَمُرُّ بِبَالِكْ

أَشْقَى الْأَنَامِ أَسِيرٌ ... مُعَلَّقٌ بِحِبَالِكْ[4]

---

(١) السابق، ج ٢، ص١٩٠.

(٢) الهوَّال (حامد عبده)، دراسات في الأدب العربي الحديث، مكتبة الفلاح . الكويت، بدون، ص١٧٤.

(٣) الشريف (أحمد إبراهيم)، المدخل إلى شعر العقاد، دار الجيل . بيروت، ط١، ١٩٧٤م، ص١٩٤.

(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص٦٠، ٦١.

والعقاد يرجع السبب في فقده السعادة – ومن ثم يأسه منها – إلى حظه العاثر، وهذا الحكم لم يأت جزافًا، بل أتى بعد ممارسة وخبرة بعيش لم ينله منه إلا الحزن والشقاء، فهو لا يطمئن حتى للطيب من العيش، والذي دفعه إلى ترك النعيم هو تعوده سرعة زواله:

مَـاذَا لَقِيـتُ مِنَ الحَيَـاةِ وَخِبْرَةٍ ... بالعَيـــْـــشِ تَمْنَعُـــنِي وُرُودَ جِنَانِهْ

أَشْقَى بِنِقْمَتِهِ وَأَجْنُـــــــــبُ طِيبَهُ ... حَذِرًا لمَـــا عُوِّدْتُ مِـــنْ فُقْـــدَانِهْ

فَـالعَيْشُ بَيْنَ نَعِيمِـهِ وَجَحِيمِـهِ ... لَا حَظَّ لِي مِنْهُ سِوَى أَحـــْـــزَانِهْ[١]

وهذا الحظ العاثر بلغ شأوًا بعيدًا، فهو شديد الحذر من كل خير، حتى إنه ليرى الخير عدوًا مغيرًا أو فخًا منصوبًا، فيتحاشى الوقوع في هذا، ويجتهد لدفع ذاك. فحظه أشد مجانبة للخيرات لأنه يبصرها فيتوقاها:

إِذَا كَـانَ حَظُّ النَّـاسِ أَعْمَى فَـإِنَّ لِي ... عَلَى الغَيْـبِ حَظًّـا لَا يَزَالُ بَصِـــيرًا

يَظَـلُّ يُحَاشِي كُـلَّ خَـيْرٍ كَأَنَّـــهُ ... يُحَـــاذِرُ فَخـًّا، أَوْ يَـرُدُّ مُغِـــيرًا[٢]

وعندما أيقن العقاد بفقد السعادة في نفسه، أخذ يفتش عن ضوء إنساني مشع عند الآخرين فأخذ يدعو غيره ليبتسم، بل ويغريه بالتبسم – من خلال إطرائه – حتى يبدد الظلام، ولكنه في الوقت نفسه لا يطيق التبسم الذي يشرح الصدور ويجلو الهموم، فقد منعه الأسى واليأس، وأحدثا ظلمة في نفسه كظلمة الليل بل أشد، فالليل يخشى الظلمة التي تنطوي عليها نفس العقاد؛ وذلك لابتعاد مظاهر البهجة والفرح عن نفسه زمنًا طويلًا، ولا شيء يبدد دياجير تلك الظلمة إلا مشاعر البهجة التي حيل بينه وبينها:

تَبَسَّمْ فَإِنَّـــا لَا نُطِيـــقُ تَبَسُّمـــًا ... حَمَانَـا الأَسَـى إِلَّا ابْتِسَامَـــةَ سَـــاخِرِ

تَبَسَّـــمْ فَقَدْ طَالَتْ عَلَى الوُرْقِ غَفْوَةٌ ... وفِي ثَغْرِكَ الْوَضَّـاحِ فَجـْرُ الدَّيـــَاجِرِ

---

(١) السابق، ج ٤، ص٣٥١.

(٢) السابق، ج ٥، ص٤٥٦.

(٣) السابق، ج ٥، ص٤٥٦.

تَبَسَّمْ فَهـَـذَا الْيَأْسُ أَعْشَـى نُفُوسَنَـا ... وفِي وَجْهِكَ الضَّـاحِي جَلَاءُ الْبَصَـائِرِ
تَبَسَّمْ وَزِدْنَـا الْقَلِيـلِ فَإِنَّنَـا ... عَلَى سَفَـرٍ يَا نِعْـمَ زَادُ المسَـافِرِ
تَبَسَّمْ فَـإِنَّ الْقَلْـبَ يَسْعَـدُ بالَّـذِي ... سَعِـدْتَ بِـهِ وَاضْحَكْ وَغَرِّدْ وَخَاطِرِ
أَنَا اللَّيْلُ فَاطْرُقْنِي عَلَى غَيْرِ خَشْيَـةٍ ... وَلُجْ بَـابَ أَحْلامِـي وَجُـلْ فِي حَظَائِرِي
وَسِـرْ حَيْثُ يَخْشَـى غَيْهَبُ اللَيْلِ ... وَتَعَثَّـرْ بِالظَّلْمَـاءِ ظَلْمَـاءِ

لا شك في أن العقاد هائم بالاستقرار والطمأنينة؛ ولذا يبحث عن أفق يتنفس من خلاله، فالكوى المشرقة في نفسه قد سدت، والمنافذ الذاتية التي تؤدي إلى بر الأمان أوصدت أمامه، فلم يبق أمامه سوى أن يستجدي الآخرين ليشرعوا أمامه أفقًا جديدًا، ينطلق فيه، ويشعر من خلاله بالتفاؤل والأمل، فهو لم يعد يجد شيئًا من معاني البهجة لأن "النفس إذا غلبت عليها عاطفة ما فإنها لا تصلح إلا لتوقيع هذه النغمة، فالنفس الحزينة ينقلب عليها الفرح حزنًا"(٢):

كَمْ ذَا أُعَـالِجُ أَنْ أُغَنّـِي ... ي بِالحَيَـاةِ وأَنْ أُبِيْنَـا
وأَصُـوغَ مِـنْ لحْـنِ الْمُـنَى ... صَـوْتًا يَسُـرُّ السَّامِعِينَا
فَـإِذَا شَـدَوْتُ إِخَالُـهُ ... شَـدْوًا فَأُلْفِيـهِ أَنِينَا
وإِذَا ضَـحِكْتُ فَمَـا الْبُكَى ... بِـأَمَضَّ مِـنْ ضَـحِكِي رَنِينَـا
ضَـحِكٌ يُعَلِّـمُ مَـنْ بَكَى ... كَيْـفَ انْتِحَـابُ النَّاحِبِينَا
نَغَمَـاتُ نَفْـسٍ شَـابَهَـا ... صَـرْفُ الحَيَـاةِ(٣) فَلَـنْ تَلِينَا
عَقَـدَ الأَسَـى أو تَارَهَـا ... مِـنْ قَبْـلِ أَنْ كَـانَتْ جَنِينَا
فَأَنَامِـلُ الأَفْـرَاحِ تَجْـ ... ـرِي فَوْقَهَـا أَلَمًـا دَفِينًا
أَلَمًـا يَمُـرُّ بِهَـا صَـدَا ... هُ عَلَـى اخْتِـلافِ العَازِفِينَا(٤)

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٢، ص٢٠٢ . ٢٠٤.
(٢) العمري (زينب عبد العزيز)، شعر العقاد، ص٣٦٦.
(٣) صِـرْفُ الحَيَـاةِ: حدثانها ونوائبها. الصحاح، ج٤، ص١٣٨٥.
(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٢، ص٢١٣.

إن نغمة النشيد عنده أشبه بآلة موسيقية لا يصدر عنها غير نغم الأنين والأسى؛ وذلك لكثرة استعمالها فيه، فإذا أراد أن يعزف عليها لم يُسمع منها إلا النغمات التي اعتادتها، وهي نغمات الأسى والحزن، حيث تساوت نغماتها في الأحزان والمسرات، فلا يصدر منها إلا الحزن وإن تعدد العازفون وتباينوا. بل إن ما تصدره تلك النفس من نغمات حزينة في حالة الفرح يفوق ما يصدر عن غيرها في حالة الترح، فالضحك عنده شبيه ببكاء غيره، بل إن الآخرين يتعلمون من ضحكه البكاء الحقيقي.

هذه النفس الحزينة الباكية لم تكن وليدة اللحظة أو الزمن القريب، بل هي حزينة في أصل خلقتها، فقد جبلت على الكدر قبل أن تظهر للوجود. فحياته جميعها مصائب ولا بصيص لأمل مشرق، لذا يطلب ممن يريد تعزيته ألا يعزيه في مصائبه فرادى بل يعزيه في حياته جملة واحدة فكلها مصاب:

لَقَدْ هَانَتْ خُطُوبِي حِينَ بَاتَتْ حَيَاتِي كُلُّهَا خَطْبًا عُجَابًا
فَإِنْ شِئْتُمْ فَعَزُّوا فِي حَيَاتِي مُجَازَفَةً، وَلَا تُحْصُوا الْحِسَابَا(١)

وهذه النفس المتشائمة التي ترى حياتها مصابًا مكتملًا، ولا تجد فيها شيئًا من مظاهر البهجة، تعلن عن موت الدنيا بأسرها بالنسبة إليها:

لقَدْ مَاتَتِ الدُّنْيَا وَقِدْمًا رَأَيْتُهَا عَرُوسًا حَفَا فِيهَا عَرَائِسُ حُورُ
نَعَمْ مَاتَتِ الدُّنْيَا بِنَفْسِي وَمَنْ يَعِشْ وقَدْ مَاتَتِ الدُّنْيَا، فَأَيْنَ يَصِيرُ؟
نَعَمْ مَاتَتِ الدُّنْيَا بِنَفْسِي فَهَلْ لَهَا بِعَطْفِكَ مِنْ بَعْدِ الممَاتِ نُشُورُ(٢)

وكيف لا تموت الدنيا في نفسه، وقد مات فؤاده بين جنبيه؟ فهو يعيش جسدًا خاويًا، فلا قيمة لوجوده:

مَاتَ الفُؤَادُ فَهَا أَنَا حَيٌّ أَعِيشُ بِلَا فُؤَادِي(٣)

(١) السابق، ج، ٦، ص٥٣٢.
(٢) السابق، ج ٢، ص٢٠١.
(٣) السابق، ج ١، ص١٥٢.

وأي شقاء وبؤس واكتئاب يمكن أن يعيشه الإنسان عندما يشعر بموت قلبه؟! وكيف يمكن أن يشعر بلذة عيشه؟

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَرُّوا فِي مَضَـــاجِعِكُمْ ... إِنِّي وَحَقِّكُـــمُ أَسْـــوَانُ[1] مُكْتَئِـــبُ!
أَسْـــوَانُ مُكْتَئِبٌ لَا الحُسْـــنُ يُفْرِحُنِي ... وَلَا الحَبِيـــبُ لـــــهُ فِي فَرْحَـــتِي أَرَبُ
وهَاكُمُ النَّبْضَ جَسُّوهُ أَعِنْدَكُـــــــمُ ... تَحْـــــتَ الأَضَالـــعِ قَلْـــبٌ خَافِـــقٌ

ولا زال لديه بقية أمل في أن يكون قلبه حيًا، فينادي من حوله أن يتفحصوا قلبه، لعلهم يجدوا خلاف ما شعر به من موت قلبه، ولكن الشاعر تأكد فيما يظهر من موت قلبه، فهو "يشعر شعورًا عميقًا بأن الشؤم يلازمه وأنه لا مفر منه إلا أن يخلص من الحياة ويستقبل الموت، وما فائدة الحياة التي يحتمل فيها كل هذه المشاق، ويتجشم فيها كل هذه الصعاب؟ إنه لحري به أن يستريح من عنائها وعذابها، وهذا النحس الذي يسايره منذ صباه"[3]، فما قيمة جسد بلا قلب، لذلك أخذ يتشوف إلى الموت الحقيقي ويطرب له، فيخيل إليه أن الموت قد نزل به فيطلب من مشيعيه "ألا يحملوه إلى القبر صامتين، بل يُغنُّوا له ويعيدوا القصيد على سمعه ليطرب"[4]:

إِذَا شَيَّعُونِي يـــــوْمَ تُقْضَى مَنِيَّتِـــي ... وقَالُـــــوا أَرَاحَ اللَّـــهُ ذَاكَ المُعَذَّبَـــا
فَلَا تَحْمِلُـــــونِي صَامِتِـــــينَ إِلَى ... فَإِنِّي أَخَـــــافُ اللَّحْـــدَ أَنْ يَتَهَيَّبَـــا
وَغَنُّوا فَإِنَّ المَـــوْتَ كَـــأْسٌ شَهِيـــَّةٌ ... وَمَا زَالَ يَحْلُـــــو أَنْ يُغَـــنَّ ويُشْرَبَـــا
ومَا النَّعْشُ إِلَّا الْمَهْدُ مَهْدُ بَنِى الرَّدَى ... فَلَا تُحْزِنُـــوا فِيـــهِ الوَلِيـــــدَ المُغَيَّبَـــا

(١) أَسْـــوَانُ: حزين، ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون، ج١٤، ص٣٥.
(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٦، ص٤٨٧.
(٣) ضيف (شوقي)، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص١١٦.
(٤) دياب (عبد الحي)، شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون، ص٨٤.

ولا تَذْكُرُونـــــي بِالبُكَـاءِ وَإنَّمَـــا أَعِيدُوا عَلَى سَـمْعِي القَصِـيدَ فَأَطْرَبَا[١]

وهو لا يكتفي بطربه للموت وتخيله أنه نزل به بل نجده في صراحة ينادي الموت طالبًا منه أن يزيل أحزانه وذلك بقبض روحه.

يَدَيْكَ فَامْحُ ضَـــنًى يَا مَوْتُ فِي فَلَســـتَ تَمْحُـــوهُ إلَّا حِـينَ تَمْحُوْنِي

وفي مناداته للموت بأن يمحو جسمه، يصدر عن قناعة ورضا، لأنه قد وجد نوره في عيشه. فحياته أشبه بالموت فهو يلتجئ إليه؛ لأنه لن يكون – حسب تعبيره– أسوأ حالًا من متاعب العيش التي كابدها:

رَضِـــينَا بِالحِمَامِ[٣] أَصَـــمّ يَحْشُـــو مَنَافِذَ حِسِّـــــهِ سَـــــافِي[٤] الرَّغَامِ[٥]

رَضِـــينَا بِـالحِمَامِ كَمَـا رَضِـــينَا بِعَيْشٍ نـــــُـورُهُ ظـــــِـلُّ الحِمَامِ[٦]

وبما أنه صادر في طلب الموت عن رضا وقناعة، فإنه يصرح بشدة شوقه لملاقاته، ويستحثه على التعجل من أجل إنهاء معاناته مع النعيم فضلًا عن الشقاء:

كَذَبَ الوُجُودَ نَعِيمُـــــــــهُ وشَقَاؤُهُ يَا طُولَ شَـــوْقِي للحِمَامِ الصَّـــادِقِ[٧]

وهو عندما يعلن عن شوقه لملاقات الموت، يعلل ذلك باستمرار المصائب، بل تزايدها كلما تقدم به العمر، فلا انتهاء لها إلا بالموت:

حَيَاةٌ إنْ تَطـــُـلْ فَالوَيـــْـلُ وَيْلِي وَإنْ تَقْصُـــرْ فَقَدْ أُبْلِغْتُ قَصْـــدِي[٨]

---

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص٨٥، ٨٦.

(٢) السابق، ج ٢، ص٢٢٦.

(٣) الحِمَامِ: قَدَر الموت. الصحاح، ج٥، ص١٩٠٦.

(٤) سَافِي: سَفَت الريح التراب تَسْفِيه سَفْيًا: ذَرَتْه. لسان العرب، ج١٤، ص٣٨٨.

(٥) الرَّغَامِ: التراب. الصحاح، ج٥، ص١٩٣٤.

(٦) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٣١.

(٧) السابق، ج ١ ص١٠٦.

(٨) السابق، ج ٩، ص٨٤٠.

وما رضاه بالموت واستعجاله إياه إلا لثقته – بزعمه – أنه خير مما هو فيه من نكد وأسى، فهو يرى فيه الأمن والسلام، بينما لن يجد مَن مُدَّ له في أجله غير العناء والبكاء والمرارة. فهو عيش لا أسف عليه ولا ندامة، فلو قدر له بقاء الشعور بعد الموت لما بكى على ذلك العيش الضنك، يقول من قصيدة رثاء:

يـَـا صـَـــدِيقِي لَنـــَـا البُكَاءُ ... ولـــَـكَ المَـــــوتُ والســـَّـــلَامْ
لَيـْـسَ يَأْسَـــى أَخـــُـو فَنَاءٍ ... بـــــَـــلْ أَخٌ بَعـْـــدَهُ أقـــَـامْ
أَنـــَا لـــَوْ دَامَ لِي الشُّعـــُورُ ... بَعـْـدَ مـــَوْتِي لَمـــَـا بَكَيْتُ
عـــــَالَمٌ كُلُّـــــهُ غـــُرُورُ ... عِشْـــتُ مَا عِشْـــتُ أَوْ قَضَـــيْتُ[1]

وكيف يبكي على حياة رأى منها كل منغص، وخبر بها كل بلاء، وذاق فيها كل داء؟!

(١) السابق، ج ٦، ص٥٤١.

**المبحث الثاني: سوء الظن بالناس:**

الإنسان مدني بطبعه يألف ويؤلف، لا غنى له عن مجتمعه، غير أن الانسجام مع المجتمع ليس بالأمر الهين، فالناس مشارب شتى، تتنوع آراؤهم وتتباين وجهات نظرهم، ومن هنا قد يدب الخلاف، وينشأ الشقاق بينهم، ولذا كان من منن الله عز وجل على نبيه أن ألف بين قلوب المسلمين قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ الأنفال، الآية: ٦٣. ولا شك في أن من يخالط الناس لابد أن يجد منهم ما يعكر صفوه، ويقلق نفسه، إلا أن ذلك خير من العزلة، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:{الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ}(١)، فمن يخالط الناس لابد له أن يتسلح بسلاح الصبر، لأن المجتمعات لا تخلو من التناقضات، ومن أسباب الخلاف، التي قد تفضي إلى النزاع والخصام.

والناس في تركيبهم النفسي ليسوا سواسية، فمنهم من يستطيع أن يتغلب على ظروف المخالطة، في حين أن البعض الآخر تؤثر فيهم سلبًا مواقف الناس وتعاملاتهم، إما لفرط حساسية تلك الشخصيات، وإما نتيجة لطبيعة تلك المواقف الصادمة، فيتولد عن هذا شعور سلبي تجاه أفراد المجتمع، وسوء ظن بهم، قد يتجاوز إلى حد التطرف في الحكم عليهم، والنفور منهم، وهو ما نجده عند العقاد الذي يرى أننا نتغاضى إذا لم نقل: "إننا في عهد لا نشاهد

(١) حنبل (أحمد بن محمد)، المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، ج٤، ص٤٨٦، رقم الحديث ٥٠٢٢. وانظر: ابن ماجة (محمد بن يزيد) السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م، ج٥، ص١٦٠، رقم الحديث ٤٠٣٢.

فيه إلا مسخًا في الطبائع وارتكاسًا في الأخلاق، ونفاقًا في الأعمال والأقوال"[١]، وقد ترجم نظرته هذه إلى الناس في شعره، فهو يصورهم في أشنع صورهم.

لقد أمض فؤاده وأضناه، انحراف الأخلاق، وانقلاب الموازين، مما أفضى إلى سير الأمور خلاف ما جبلت عليه:

لَـيْـسَ أَضْـنَـى لِـفُـؤَادِي ... مِنْ عَجُوزٍ تَتَصَابَى
وَدَمِيمٍ يَتَحَالَى ... وَعَلِيمٍ يَتَغَابَى
وَجَهُولٍ يَمْلَأُ الأَرْ ... ضَ سُؤَالًا وَجَوَابًا[٢]

ونرى الدنيا تظلم في عيني العقاد، وكأن الشمس قد فقدت، وقام من ينادي في الناس متسائلًا عنها، يقول في (الشمس الضائعة):

نَادَى المُنَادِي وَقَدْ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ ... يَا مَنْ رَأَى الشَّمْسَ؟ إِنَّ اللَّيْلَ مُحْتَكِمُ
غَابَتْ فَهَلْ مِنْ ضِيَاءٍ نَسْتَدِلُّ بِهِ ... عَلَى الضِّيَاءِ؟ فَقَدْ حَاقَتْ بِنَا الظُّلَمُ
كَانَتْ كَمَا حَدَّثُونَا مَنْظَرًا عَجَبًا ... يَا سَامِعِي الصَّوْتَ: أَيْنَ الْيَوْمَ مَا زَعَمُوا؟
فَمَا وَعَى قَوْلَهُ شَيْخٌ وَلَا حَدَثٌ ... كَأَنَّمَا نَابَهُمْ فِي الظُّلْمَةِ
وصَاحَ مِنْ خَلْفِهِمْ دَاعٍ يَقُولُ لَهُمْ: ... مَا ضَاعَتِ الشَّمْسُ لَكِنَّ الْأَنَامَ

فنجد العقاد "قد نال في هذه المقطوعة غرضه في التنديد بأناس قد ضاع نور الحق والحقيقة بينهم دون ما صخب أو غضب، ولكن دل على شعوره الداخلي شطرا بيتين "كأنما نابهم في الظلمة الصمم"، "ما ضاعت الشمس لكنَّ الأنامَ عموا"[٤]، فهم صم عمي لا خير يرتجى منهم، بل هم عبء على الحياة.

---

(١) مقدمة العقاد لديوان المازني، المازني (إبراهيم)، ديوان المازني، ص١٩.
(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٤٤.
(٣) السابق، ج ٣، ص٢٤٣.
(٤) البقري، (أحمد ماهر محمود)، العقاد الرجل والقلم، ص٨٢.

وهو يرى أن وجوههم صفيقة، فالكذب بادٍ عليها، لا يستطيعون إخفاءه، فلو كانت صفاتهم الخُلقية خَلقية لكانت على أقبح صورة يقول في (الوجوه الكاذبة):

سُحْقـًا لهَاتِيـْكَ الوُجـُوهِ فَإنـَّـهَا كـَـــذَّابـَةٌ لا تُحْسِـــــنُ التَّمْوِيهَـا
حَسُـنَتْ ولَو نُقِلَتْ صِـفَاتُ نُفُوسِـهَا لَرَأَيـْـتَ أَقْبـَـحَ مَا رأَيـْـتَ وُجُوهًا[١]

والحق بين الناس مفقود، فلا انتصار لمظلوم، ولا نُصح لظالم، فعالمهم مليء بالفوضى، حيث تسود تعاملاتهم شريعة الغاب، فالغلبة للأقوى:

والنـَّاسُ يَغْتـَـالُ القَـوِيُّ ضَعِيفَهُمْ والدَّهـْرُ يَغْتـَالُ الفَـتَى المغْتـَـالَا[٢]

والتعامل بين الناس أصبح مبنيًّا على أساس إساءة الظن، وانعدام الثقة فيما بينهم، وهذا الظن قد أحكم قبضته على هؤلاء الناس، حتى أصبحوا أسرى له يأتمرون بأمره وينتهون عن نهيه، أما هو فيعيش في عالم خاص به، يختلف عن عالم غيره:

لنـَـا عَالـَـمٌ طَلـْـقٌ ولِلنـَّاسِ عَالـَمٌ رَهِـينٌ بَأَغـْـلالِ الظُّنُـــونِ أَسـِـيرُ[٣]

وهذه النظرة السلبية تجاه الناس لا تستثني منهم أحدًا، فصفة اللوم شاملة لجميع الناس، "فلقد كان يحسن الظن في الناس كأنهم كلهم خير، فإذا بتجارب الحياة تظهر له الناس على غير ظنه واعتقاده"[٤]:

وكُنـْتُ أُخـَـالُ النـَّاسَ إلَّا أَقَلَّهُـمُ كِـــرَامًا إذَا هُـــمْ كُلُّهُـــمْ لُؤَمـَـــاءُ[٥]

وهذا اللؤم الموجود في الناس ليس أمرًا عارضًا يرجى زواله، بل هو أمر جبل عليه الإنسان في أصل خلقه:

---

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص٩٦.
(٢) السابق، ج ٢، ص١٧٢.
(٣) السابق، ج ٢، ص٢٠٠.
(٤) الريّس (حسن علي)، العقاد كما عرفته، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بدون، ص١٨.
(٥) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٤، ص٣٨٢.

إنَّ فِـي طِينَـةِ ابـْـنِ آدَمَ لُؤْمـًا يَسْتَـوِي فِـي قَـذَاهُ حُـرٌّ وَعَبـْدُ[1]

لقد غلب اللؤم على الفضائل، فقلما تحضر، وذا حضرت فإنما يكون حضورها بشكل عابر، بينما الرذائل حاضرة في كل حين، فالأصل هو نقص الطبائع لا تمامها، يقول:

ثِـقْ بِالرَّذِيلَـةِ تَلْقَهَا فِي كُلِّ حِـينٍ حَاضِرَةْ

إنَّ الفَضِيلَـةَ قَلَّمَـا تَلْقَـاكَ إلَّا عَابِـرَةْ[2]

ويقول:

لا تَعْجَبَنَّ لِعَيـْبٍ واعْـجَـبْ لِـفَضْـلٍ ونُـبْـلِ

نَقْـصُ الطَّبَائِعِ أَصْلٌ والفَضـْلُ لَيْسَ بأَصْلِ[3]

إننا في عالم اختفت فيه معالم الرجولة، فكل ما بقي منها التشبه، فلم يعد ينشد إلا الجزء اليسير من معاني الرجولة بعد أن كان يرنو لما هو أعلى من التمام فـ "كل يوم يمر تعطيه تجارب الحياة جرعة يتساقط لها الكثير ممن حسبهم موضع تقديره واعتباره"[4]:

سَنْجَـاتُ مِيـزَانِ الرِّجَـا لِ نَقَصـَتْ وَزْنـًا بَعْـدَ وَزْنِ

حَـتَّـى رأَيْـتَ الْـكِـفَّـةَ الْـكُـبْ ـرَى خِلْـتَ ظَهـْرًا لِبَطْـنِ

فإنْ وَزَنْـتَ فـَلَا رِجَـا لَ سِوَى التَّشَبـُّهِ والتَّظَنِّي

مـَا كـَانَ يُغْنِينـَا التَّمَـا مُ فَبَـاتَ عُشْـرُ العُشْـرِ يُغْنِي[5]

ولغلبة هذه الطباع الدنيئة يصاب العقاد بالإحباط، ويغلب عليه اليأس تجاه إصلاحهم، فطلب تعديلهم ضرب من الجنون، والحل هو أن يعيش الإنسان بينهم وكأنه صنم؛ لأنه لن ينعم بالعيش إن حاول الإصلاح، وسوف

---

(١) السابق، ج ٥، ص٤١٠.

(٢) السابق، ج ٥، ص ٤١٠.

(٣) السابق، ج ٩، ص٧٦٨.

(٤) الريّس (حسن علي)، العقاد كما عرفته، ص٢٠.

(٥) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٧، ص٦١٩.

يرمى بكل نقيصة، فلا أمن إلا لمن تركهم بطوعه، أو كان متسلطًا عليهم، فلا بقاء بينهم إلا للمستبدين والمرائين:

كُنْ بَيْنَهُمْ "بُوذَا"(١) فَـإِنْ لمْ تُطِقْ ... فَكُـــنْ كَتَيْمـــُـورِ نِيرُونـــَـا!(٢)

أوْ عِـــشْ مُعَافًى بَيْنَهُـــمْ لا تَـرَى ... إِصْلَاحَهـــُـمْ دُنْيـــًا ولَا دِينـــَـا

قَدْ ضَلَّ مَنْ يَطْلُبَ إِصْلَاحَهُـــمْ ... لَا غَـــرْوَ إِنْ سَمَّـــوْهُ مَجْنُونَـــا!

يَأْمَنُهُـــمْ مَـــنْ فَاتَهُـــم طَائِعـــًا ... أوْ سَاقَهُـــم كُرْهـــًا مُطِيعِينـــَا

يَا بـــُؤْسَ أَرْضٍ لَا نـــَرَى فَوْقَهَـا ... إِلَّا طُغَـــــاةً أَوْ مُرَائِينـــَا(٣)

والعقاد يتوقى شرور الناس، ويدفع لؤمهم من خلال إجادة التعامل معهم، فلا يهين معهم ولا يلين، فلن ينجو أحد من أذاهم إلا إذا عاملهم بغلظة وعنف؛ لأن الرحمة معدومة عندهم:

أَلَمْ أَقُـــــلْ لَـــكَ مَهـــْـلًا ... فَالنَّـــــاسُ لـــُؤْمٌ وَشَـــــرُّ

لَا تُـولِـهِـمْ مِـنْـكَ عَـطْـفًـا ... فَهُمْ مِنَ الْعَطْفِ صِـفْـــــــرُ

لَـوْ كُـنْـتَ تَـعْـلَـمُ عِـلْـمِـي ... لَمـــَا أَصَابـــَكَ ضَـــــــرُّ(٤)

---

(١) بُوذَا: رجل هندي أسس ديانة نسبت إليه (البُوذيَّة)، وهي واسعة الانتشار في الهند والشرق الأقصى. مصطفى (إبراهيم)، الزيات (أحمد حسن)، عبد القادر (حامد)، النجار (محمد علي)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ج١، ص٧٦.

(٢) تَيْمـــُور نِيرُون: إمبراطور روماني، حكم روما من عام ٥٤م حتى وفاته بعد ذلك بأربعة عشر عاما، تشتهر فترة حكمه بالحريق الذي دمر كثيرا من روما عام ٦٤م، بنى نيرون البيت الذهبي، وقصرا ضخما وسط المنطقة المحترقة، وكانت هناك إشاعات تقول: إن نيرون بدأ الحريق ليستطيع بناء القصر. اتهم النصارى الذين كانوا أقلية آنذاك في روما وقام بإعدامهم. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ج٢٥، ص٦٢٢-٦٢٣.

(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٥، ص٤١١.

(٤) السابق، ج ٧، ص٦١٥.

ومن الطرق الناجعة في معاملتهم شدة الحذر منهم، ومداراتهم؛ لأن قلوبهم مستودعًا للبغضاء والأحقاد، فالعقاد لا يخلص في معاملتهم، ولكنه يظهر اللطف حذرًا لا حبًا، فيتصنع لهم المودة، ويخفي ما يكنه قلبه من ازدراء وبغضاء، فلا خيار له غير ذلك، ولو كان له بديل عن تلك المحبة لافتداها ولو بقتل نفسه:

قَدْ جَـــرَّبَ النـــَّاسَ فَأَلْفَاهُـــمُ ... للبُغْضِ أَهْلًا كُلُّهُم، أَجْمَعِـــــــــينْ

فَضَاقَ عَنْ بَغْضَائِهِم ذَرْعُـــــــــهُ ... ولَـمْ يَجِـــدْ عَزْمـــًا بـــِهِ يَسْتَـعِينْ

فَارْتَـدَّ يَهْوَاهُـــمُ وَيُحْـــيِي لَهُـمْ ... أَعـــْــــذَارَهُمْ، وَهـــوَ كَظِيمٌ حَزِينْ

فَيَـا لَـــهُ حَبًّا لِمـــَنْ رَامَـــهُ ... أَرْخَـــــصُ مِـــنْ بُغْضِ العَدُوِّ المُبِينْ

لَوْ لـمْ يَكُنْ فِي حُبِّهِم مُكْرَهًـا ... لَعَاضَهُـــمْ مِنـــْهُ بِحَـــزِّ الـــوَتِينْ[1]

وهو لا يستثني من هذا الحكم أحدًا من الناس، وحكمه أتى من واقع مرٍّ عاشه، فأهل هذا الزمن متظاهرون على الخيانة، فلا ناصر فيهم لشاكٍ، ولا نجدة لمظلوم، بل حتى نفسه التي بين جنبيه لا يأمن بوائقها. وقد انتهى من خلال هذه التجارب مع أهل زمانه أن الخيانة هي الأمر الثابت فيهم، ولكن مع ذلك لا بد من مداراتهم والثناء عليهم بما ليسوا أهلًا له:

قُلْـــتُ لِعُمَرَ خَانَـــنِي خَـالِدٌ! ... وخَـانَـنِـي عَـمْـرٌو، فَـمَـاذَا أَقُـولُ؟

أَبْلَغْتُهَـــا زَيـــْدًا فَمَـــــا زَادَنـــِي ... عَنْ صَـــــاحِبَيْـهِ، فَـاحْتَوَانِي الـذُّهُولُ

نَاجَيْتَـــنِي سِـــرًّا، وبـــِي خِيفَـةٌ ... مِمـــَّـنْ أُنَاجِيـــــهِ، فَفِيـــهِ فُضُـــولُ!

ثِـقْ مِـــنْ خِيَانَـــاتِ بَنِـــي آدمَ ... إِذَنْ، وقُـــــلْ أَنْتُـــم ثِقَـــاتٌ عُدُولُ

لَا تَشْكُ هَـــذَا عِنْدَ هَـــــذَا فَفِي ... هَـــذَا وهَـذَا عُنْصُـــرٌ لَا يَحُـــولُ

كُلُّ بَـــنِي الدُّنْيَـــا، ومِـــنْ بَيْنِهِم ... أَنـــْتَ، فَـــرُوعٌ جَمَّعَتْهَـــا الْأُصُولُ[2]

(١) السابق، ج ٧، ص٦١٦.

(٢) السابق، ج، ٩، ص٧٧٣.

لقد ضاق ذرعًا بهذا المجتمع المتردي في أخلاقه، وأنف من البقاء بينهم، فالعيش معهم أشبه بالسجن، ولا فكاك من سجنهم إلا بتجاهلهم والبعد عنهم، وذلك باعتزالهم؛ لأنه مباينٌ لهم في شتى الطباع، فقد نكست الموازين فيما بينهم وقلبت الحقائق، يقول:

نُفُــوسٌ أَعَــافُ مُقَامِــي بِهِـَا ... أَأَخْلُــدُ فِيهِـَــا؟ لَبِئْــسَ الخُلُودُ!

فَرُبَّ خُلُــودٍ كَقَيــدِ السَّجِــينِ ... وَنِسْيــَانِ قــَوْمٍ كَفــَكِّ القُيُودِ

ويقول:

عَرِفْتُ نُفُوسَــكُم وعَرَفْتُ نَفْسِــيَ ... فَلَـيْسَ إِلى التَّعَــارُفِ مِــنْ سَبِيــلِ

أُمُــورٌ مِــنْ بَدِيهِيــَّاتِ حَدْسِــي ... حَسِبْتــُــم صِدْقَهَــا كالمُسْتَحِيــلِ

ويُقْبَلُ عِنْدَكُــم مَا لَيسَ عِنْــدِيَ ... عَلَى حــَالٍ خَلِيقــًا بِالقَبُــولِ

جَلِيــلُ الأَمْــرِ عِنْدُكــُمُ حَقِيرٌ ... وَأَحْقَــرُهُ أَجــَلُّ مِـنَ الْجَلِيــلِ

عَــــوَارِضُ لَا تقــــرُّ عَلَــى ... وَوَهْــمٌ لَا يَقُــومُ عَلَــى دَلِيــلِ[٢]

إنه بسبب اختلافه عنهم، وشقائه بطبائعهم الفاسدة "لم يأسف في عزلته على شيء تركه، ولم يثنهِ عن قراره بالعزلة قولهم بالمهاترة أو الذم فقد أنس بنفسه، وأسعدته العزلة بما لم يسعده به أحد من الناس"[٣]:

فَلَسْــتُ مُبَالِيــًا مِنْكُــم بِذَمٍّ ... وَلَا آسَــى عَلَــى ظَــنٍّ جَمِيلِ

فَشُبُّوا مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ لَهِيــبٍ ... وَذُقُّوا مَــا اسْــتَطَعْتُمْ مِنْ طُبُولِ[٤]

وكيف لا يستغني عن الناس ولا يعتزلهم، وكلهم شر، وهذا الشر يُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ، وهذا ما حدث له، فعلى الرغم من أصالة أخلاقه، فقد بدأ عليه التجهم والجفاء، وما ذلك إلا ظلال لأخلاق الناس وصدى لأفعالهم:

---

(١) السابق، ج، ٨، ص٦٥٧.

(٢) السابق، ج ١٠، ص٨٨٤.

(٣) الريّس (حسن علي)، العقاد كما عرفته، ص٢٢.

(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١٠، ص٨٨٤.

إذَا اسْـتَصْـعَبْتُ نَفْسِـي وَضَـاقَتْ ... ولاحَـتْ لمـرْأَى العَـيْنِ كَالجَبَلِ
فَلَا تُنْكِرُوا مِنْـهَا جَفَـاءً ... وَلَا تَرجُمُوهَـا بِالقَبِيحِ مِـنَ الكِـبْرِ
فَتِلْكَ ظِـلَالُ النَّـاسِ فِيهَـا ... طَبَائِـعُ كَالمَـاءِ النَّمِـيرِ[1] إذَا يَجْـرِي
وإنْ جَشَـأَتْ نَفْسِـي وَصَـابَتْ ... وَغَمَّـتْ دَيَاجِيهَـا[2] عَلَى الأَنْجُمِ الزُّهْرِ
فَمِـنْ أَرْضِكُمْ ضَوْضَاؤُهَـا ... ومِنْ صَوْبِكُم ذَاكَ الغَمَامُ الَّذِي يَسْـرِي[4]

لقد أفضى به تشاؤمه من تلك الأخلاق الفاسدة إلى جَعْلِهِ يُفَضّلُ الموت على الحياة مع بني البشر بسب ما فيهم من التردي الخلقي، فالأموات لا يقبلون بالعودة إلى العيش – لو قدر لهم أن يعودوا – في مثل هذه الأوحال والأقذاء، فهم يفضلون ما هم فيه على تلك الحالة المتردية في أرض الكنانة، فـ "هل يقبل فرعون مصر أن يقيم بميدان رمسيس ويشهد في لحظة ما يبعث ثورة الشاعر وغضبه؟"[5]:

رَمْسِـيسُ هَلْ تَرْضَـى مُقَامَكَ بَيْنَهُم ... لَوْ تَسْتَقِلُّ بِنَهْضِـكَ الْأَعْضَاء؟
عَيْنَاكَ لـوْ رَأَتَـا الضُّحَـى أَعْمَاهُمَـا ... مِنْ أَرْضِ مِصْـرَ وَقَوْمِهَـا أَقْـذَاءُ
شَعْبٌ يَعَـافُ النَّابِهُـونَ جِـوَارَهُ ... ولَـوَ انَّهُـمْ حَجَـرٌ عَلَيْـهِ عَفَـاءُ[6]

وهكذا أصيب العقاد بخيبة أمل شديدة، بسبب فساد المجتمع، ووصل إلى درجة اليأس من صلاحه أو استصلاحه في زمنه، ولكنه يرجو أن ينهض هذا

(١) النَّمِـيرِ: ماءُ نميرٌ، أي: ناجع في الرّيّ، وقيل الماء الكثير. لسان العرب، ج٥، ص٢٣٦.
(٢) الدُجَّةُ: شِدَّةُ الظُلمة. وليلةٌ ديجُوجٌ: مُظلمة. وليل دَجُوجِيٌّ. الصحاح، ج١، ص٣١٢-٣١٣.
(٣) قَتَامُهَـا: القَتَام: الغبار. الصحاح، ج٥، ص٢٠٠٥.
(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٣، ص٢٩٢، ٢٩٣.
(٥) العمري (زينب)، شعر العقاد، ص٢٤٢.
(٦) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٢، ص٢٢٥.

المجتمع من كبوته ويستعيد أخلاقه، ولكن تلك الصحوة قد يئس منها ما دام حيًّا:

فَعَلَيهِم مِـــنِّي السَّلَامُ إذَا صَـــحَوا  يَوْمـــًا وَطـــَالَ بِجَفْـــنِيَ الْإِغْفَـاءُ[١]

إن أهل زمنه لا يمكن أن يصحوا من غفوتهم، ولا يؤمل لهم أن ينهضوا من المستنقع الآسن الذي سقطوا فيه؛ لأنهم لا يعيشون العيشة السوية، فقد قضوا على كل الفضائل، ورضوا بالجهل، فلا خير فيهم يرتجى، بل هم جالبون للشر والهلاك على أنفسهم وعلى غيرهم ممن لم ينغمسوا معهم في رجسهم، ولم يقبلوا ما هم فيه من زيغ وفساد:

مـــَا وَجَدْنـــَا مـــِـــنَ البـــَرِيَّةِ إلَّا  خُلُقـــــًا زَائِفـــــًا وَجَهْـــــــــلًا مُبِينَا

حَشَرَاتٌ لَا تَعْرِفُ الْخَيْرَ والشَّـــــــ  ـرَّ وفِيهَـــــا الهـــَـــــلَاكُ لِلعَارِفِينَ[٢]

وهم في عبوسهم وتجهمهم أشبه في خلقتهم بالقرود، فالخبث الذي استقر في نفوسهم طافح، لا يستطيعون إخفاءه أو التظاهر بغيره:

أَنـــَـا فِي هـــَـــذِهِ الدُّنْيـــَـا مُقِيمٌ  لَا أَرَى غَـــيْرَ أَوْجُـــــــهٍ كَالقُـــرُودِ

أَوْجُـــــهٍ جَهْمَـــــةٍ المعَارِفِ عُوجٍ  كَالِحَـاتِ[٣] الْأَدِيمِ والبَشَـــرِ سُـــودِ[٤]

والعقاد لا يكتفي بمقارنة الإنسان ببعض الحيوانات والحشرات، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيفضل بعض أنواع الحيوانات على الإنسان، وهو تفضيل يصدر عن قناعة راسخة لا شك فيها، ومن هنا وجدناه يسوق ذلك التفضيل مسبوقًا باليمين؛ ليؤكد أنه وصل إلى درجة اليقين المطلق بأفضلية السباع المفترسة إذا ما قورنت ببني الإنسان:

---

(١) السابق، ج ٢، ص٢٢٥.

(٢) السابق، ج ١، ص٥٧.

(٣) كَالِحَات: الكُلُوح: تَكَشُّرُ في عبوس وقد كلح الرجل كُلُوحًا وكُلَاحا. وما أقبح كَلَحَتَهُ، يراد به الفم وما حواليه. الصحاح، ج١، ص٣٩٩.

(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٣٥.

ظَـلَمُوا الـوَحْشَ وهوَ واللهِ أَحْرَى مِنْـكَ بِالْأَمْـنِ أيُّهـَـا الْإِنْسَـانُ
إنَّ لِلْوُحـُـوشِ جَوْعَتَـيْنِ وأَنْتـُـمْ جُوعُكـُـمْ فِي حَيَاتِكـُـمْ أَلْـــوَانُ[1]

ويقدم لنا الأدلة الملموسة الداعمة لتفضيله السباع على بني الإنسان، فيعقد مقارنة بين الأسد الذي كان يحرس خمارويه وبين الإنسان فيقول "كان لخمارويه بن أحمد بن طولون أسد عوده أن يجلس بين يديه إذا أكل، وأن يسهر عليه إذا نام، وقد سافر مرة وتركه بمصر فقتل في دمشق، فأعجب لرجلٍ حرسته السباع واغتالته الناس!"[2]:

رَكَنـْتُ إِلَى السِّبـَاعِ خِمَارَوَيـْهِ ولـَمْ تَرْكَـنْ إِلَى أَحَـــــدٍ سِوَاهَا
تَحُوطُـكَ نَائِمًـا وَتَبِيـــتُ تَخْشَى قُلُوبَ النَّاسِ أَنْ يَطْغَى أَذَاهـَـــا
أَلَيْـسَ مِـــنَ العَجَائِـــبِ أَنَّ لَيْثًا يـَـــذُودُ رَعِيـــَّةً عَمَّـــنْ رَعَاهَـا
وأَنْ يَحْمِـــيَ ابْـنَ آدمَ مِـنْ أَخِيهِ سِبـــَاعٌ جَـلَّ أَنْ يُدْعَـــى أَخَاهَا
وَثِقْـتُ بِـذِي حِفَـاظٍ لَيْسَ يُرْشِـــى وَلَا يَنْسَـــى الْحُقُـوقَ لِمـَـــنْ حَبَاهَا
وَهُمْ قَتَلُوكَ حِـــينَ وَثِقْـــتَ مِنْهُـمْ وَكَـمْ حَفِظَ العُهُودَ فَمَـا اعْتَـدَاهَـا
وَلَوْ شَهِـــدَ اغْتِيَالـَــكَ فِي دِمِشْـقَ لَضَـــرَّجَ بِالجِنَايـــَةِ مـَــنْ جَنَاهَا[3]

فالعقاد في هذه المقطوعة "يألم للضعف الإنساني الذي يغافل الضمير الحي فينسى العهود ويجحد الجميل"[4].

ويذهب العقاد إلى أبعد من ذلك فيفضل أرذل الحيوانات وأنجسها على بني جلدته، فنراه يفرد قصيدة في مدح كلب ويعنون لها بـ (أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب):

مَا مَدَحْتُ الأَنـــَامَ يَوْمـــًا وَإِنِّي لَسْتُ آلُـــوكَ يَا كُلَيـْـــبُ امْتِدَاحًا

(١) السابق، ج ١، ص٥٣.
(٢) السابق، ج ١، ص٦٤.
(٣) السابق، ج ١، ص٦٤.
(٤) فؤاد (نعمات أحمد)، الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص١٤١.

أعْجَمَ النـاسُ فِي الوِدَادِ وَمـا زا ... لَ بَنُو الكَلْـبِ فِي الوِدَادِ فصَـــاحًـا
وسُعـَــارُ الكِـــلَابِ أَهْـوَنُ شَـرًّا ... مِـــنْ سُعـَــارٍ يُمَـــزِّقُ الأَرْوَاحَا[١]

فأي نقمة على المجتمع تلك التي تفضي إلى جعل "الكلاب – التي هي في عرف الناس رمز للسوء في كثير من حالاتها – جديرةً بالتكريم والاحتفاء من شاعر ومفكر كالعقاد؟!"[٢].

وينتهي العقاد في حكمه على الناس بأنهم من نوع مؤذٍ يتحين الفرص لإيقاع الشر بغيره، إنهم أشبه بالثعبان، الذي يبدل جلده فيظهر في صورة حسنة، وملمس ناعم، ولكن (في أنيابه السُّمُ ناقِعُ)[٣]:

قَـالُوا ابْنُ آدمَ مِنْ قِردٍ فَقُلْـتُ لَهُم ... كَـــلَّا، ولَكِنَّـــهُ فِي النَّجْرِ[٤] ثُعْبـــانُ
فِي كُـلِّ يَـوْمٍ لَـــهُ ثَـوْبٌ يُجَـدِّدُهُ ... مِـــنَ الرِّيَـــاءِ، وفِي فَكَّيْـــهِ ذِيفَـــانُ[٥]

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٠٩.

(٢) المحسني (عبد الرحمن بن حسن بن يحيى)، أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز، ص٢٣٧.

(٣) الذبياني (النابغة) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٦هـ، ص ٥٤.

(٤) النَّجْرِ: الأصل والحسب. الصحاح، ج٢، ص٨٢٣.

(٥) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص٧٥. والذِّيفَانُ: السمُّ القاتل. الصحاح، ج٤، ص١٣٦٢.

**المبحث الثالث: سوء الظن بالأصدقاء والمرأة:**

لا يغيب على أحد أن الأصدقاء والمرأة يدخلان في جنس الناس، ولكن الذي اقتضى إفراد كل منهما بحديث خاص بعد الحديث عن سوء الظن بالناس عمومًا، هو أثرهما العميق على الإنسان إن سلبًا وإن إيجابًا، فالإنسان يسعد بخلصائه أو يشقى، وشقاه بهم أو بأحدهم لا يعادله شقاء، وصدق الشاعر إذ يقول:

وظُلْمُ ذوي القُرْبى أَشَــدُّ مَضَــاضَــةً ... على المرءِ من وَقْعِ الحُســامِ الـــمُهنَّدِ[1]

**١ – الأصدقاء:**

الصداقة جبلة فطر الله تعالى الإنسان عليها في هذه الحياة، ولذا فهي ضرورة وحاجة لا غنى للإنسان السوي عنها، فكل فرد بحاجة إلى خلصاء يجالسهم، يشاركونه في أفراحه، وينفسون عنه في أتراحه، ويوجهونه فيما ينزل به من الملمات. ويعينونه على تحقيق المسرات.

إن الناس في نظر العقاد قد تخلوا عن مقومات الإنسانية، وانحطوا إلى درجة جعلت الحيوانات تفضلهم، مما دفعه للتصنع في معاملتهم، بل اضطره إلى اعتزالهم. وإذا كان الحال كذلك فهل وجد عنهم عوضًا في بعضهم، فاصطفى له أخلاء يأنس بهم في سرائه، ويركن إليهم في ضرائه؟

لقد آمن العقاد بأهمية الصديق، ولكنه يبالغ في صفات الصديق الذي يريد، فيطلب فيه المثل الأعلى، والكمال المطلق فلا يجده:

يَا وَاهِــبَ اللَّيْـلِ بـَدْرًا هـَبْ لمُشْبِهِ ... بَدْرًا يُضــِـيءُ لـَــهُ والقَلْــبُ غَيْمَانُ

أَنَا الغَرِيبُ وَلِي بَيْنَ الــوَرَى رَحِــمٌ ... بِالرَّغْــمِ مــِـنِّي، وأَصْحَــابٌ وَجِيـرَانُ

وابْعَـثْ لنَا الحُورَ فَالإِنْسَانُ لَيسَ لنَا ... بِخَالــِصٍ مِنــْهُ أَحْبــَابٌ وأَخْـدَانُ[2]

---

(١) ابن العبد (طرفة)، ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية . بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢، ص٢٧.

(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص٧٦.

إنه يعيش غريبًا بين الأصحاب والجيران، ومن أين له صديق يشاكله وهو شبيه البدر؟ إنه يبحث عن صديق مبرأ من كل عيب، ولا شك أن المخلوق الذي خلا من كل المكدرات لا وجود له على وجه الأرض؛ لأن الإنسان كائن ضعيف، ولكن العقاد لا يقبل الصديق على علاته، ولا يقبل منه ملاطفاته ومجاملاته، بل ينظر إليها بعين الريبة والحذر، فهو يرى فيها الخداع والخيانة:

أَراكَ تُصَافِحُـــنِي ضَاحِكـــًا ... فَمَـا بَـالُ عَيْنِـكَ تُبْـدِي الَحـذَرْ
أَلَا بَئِسَـــتَ العَيْنُ مِنْ صَـــاحِبٍ ... يَخُـــونُ الضَّمـــَائِرَ عِنـــْدَ النَّظَرْ
أَتَضْـــحَـكُ لِي ضَـــحِكَاتِ الثُّلُو ... جِ إِذَا مَـــا عَلَاهَـــا ضِيَـــاءُ القَمَرْ؟
وَهَبَـنِي امْـرَءًا جَائِـزًا خِتْلُـهُ[1] ... فَمَـا أَنْـتَ فِي الخِتـــْلِ بِالمقْتَـدِرْ
فَـــلَا تَضْحَكَـــنَّ فَكَـم عَابِسٍ ... وَفِيٍّ وَكَـمْ ضَاحِـكٍ قَـدْ غَـدَرْ
وإِنِّي لأَسْمَـــعُ ضَحِـكَ القُلُـو ... بِ بَـينَ الجَوَانِـحِ مَهْمَـا اسْتَـتَرْ[2]

إن علامات البشر والقبول الظاهرة لا يمكن أن تخدع العقاد، فليس ممن تنطلي عليه تلك الابتسامات الصفراء، والضحكات الكاذبة فهو الخبير بالناس، ثم يحط من قدر ذلك الصديق، ويهون من شأنه، فهو لا يستطيع حتى أن يقوم بهذا الخلق الدنيء؛ لأن الشاعر يستطيع بحدسه أن يقرأ ما في نفسه.

وهذا الخلق من هذا الصديق الغاش المخادع، ليس نموذجًا فريدًا بل هو طبع مستشرٍ في كل الأصدقاء، فقد جرب العقاد كل الأخلاء فوجدهم لا يختلفون عن ذلك الصديق الغاش، فكلهم لا قيمة لهم، وإن كان قد أعجب بهم شكلًا فإنه ينكرهم خلقًا، فالعين تقبل ولكن النفس تنكر، بل إن من تنخدع به العين هو مجمع الأدواء والأكدار:

إِلَامَ تَخْدَعُنِي عَيْـنِي ومَا انْخَدَعَـتْ ... نَفْسِـي ولَكِنَّهَـــا تَهْفُـــو مَـعَ البَصَـرِ
جَرَّبْـتُ كُـلَّ خَلِيـــلٍ فِي مَوَدَّتِـهِ ... فَمَـا جَمَعْـتُ يَـــدَيَّ إِلَّا عَلَـى صَفَرِ

(١) خِتْلُـهُ: خَتَلَهُ وخَاتَلَه، أي: خدعه، والَتخاتُلُ: التخادع. الصحاح، ج٤، ص١٦٨٢.
(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٤٣.

أَكُلَّمَـا ضَـاءَ لِـي نَجْـمٌ فَأَتَّبِعُـهُ ... خَبَـا الضِّيَـاءُ فَلَـم أُبْصِـرْ سِـوَى كَـدَرِ
أَكُلَّمَـا قُلْـتُ هَـذَا جَوْهَرٌ، نَطَقَـتْ ... عَلَيْـهِ دُونَ بَنَانِـي خِسَّـةُ الحَجَـرِ
أَكُلَّمَـا لَاحَ لِي صَيْـدٌ فَأَحْسَبُـهُ ... صَيْدَ الأُسُودِ، إذَا الْجُرْذَانُ فِي الأَثَـرِ
أَكُلَّمَـا قُلْـتُ هَـذَا كَوْثَـرٌ خَصِـرٌ ... تَجْمَـعُ الصَّابُ لِي فِي الكَوْثَرِ الخَصِرِ
ومَا دَهَـى القَلْـبَ مِـنْ رُزْءٍ يُهَشِّمُـهُ ... مِثْـلُ انْتِزَاعِـكَ مِنْـهُ حُـبَّ

لقد هشم قلبَه مُصابُه بصرف حبه ووفائه لغير مستحقه، كيف لا وقد أولى هذا الحقير أغلى ما يملك (قلبه ومشاعره).

وانتهى الشاعر إلى نتيجة مفادها أن الصداقات كذب وافتراء بل هي البغضاء متجلببة بجلباب الأمن:

مَـا الصَّـدَاقَـاتُ الَّتِي زَعَمُوا؟ ... إنَّهَـا الْبَغْضَـاءُ تُؤْتَمَـنُ[٢]

إنه يسأل ثم يبادر بالإجابة مباشرة، لأن ذلك يمثل لديه حقيقة مطلقة، وأكبر دليل على ماهية الصداقات أنه لا يمكن أن تستمر مهما كانت وثيقة، فهي إن سلمت من الأعداء الخارجيين، عادت لتقتل نفسها. فهي في حقيقتها عملية انتحار، تقضي على كل العهود والمواثيق بمجرد قيام العتاب، ولا يشفع لها ما يظهر من صلاح أصحابها أو فسادهم:

لَقَـدْ كُنْـتُ أَنْسَـى أَنَّ لِلقَلْـبِ نَبْـوَةً ... ووُسُوَاسَ خُـلْفٍ لَا يَـزَالُ يُـرَاوِحُ
وأَنَّ الْإِخَـاءَ المحْـضَ يَقْتُـلُ نَفْسَـهُ ... إذَا لَـمْ تُقَاتِلْـهُ العُـدَاةُ الكَوَاشِـحُ
ومَالِي أَلُومُ الرَّوْضَ والصُّبْحَ والدُجَى ... ومَـا أَنَـا فِي لَـوْمِ الأَوِدَّاءِ[٣]
عَلَى إنَّهُـم لَا قَيْـدَ بِالعَهْـدِ بَيْنَهُـم ... سَـوَاءٌ عَرِيـقٌ فِي الصَّـلَاحِ وطَـالِحُ[٤]

(١) السابق، ج ٢، ص٢١١، ٢١٢.

(٢) السابق، ج ٣، ص٢٤٤.

(٣) الأَوِدَّاءِ: جمع مفرده الوَدِيْدُ. يقال: وَدِدْت الرجلَ أَوَدُّهُ وُدًّا، إذا أَحْبَبْتُهُ. الصحاح، ج٢، ص٥٤٩.

(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٤، ص٣٢٩، ٣٣٠.

فالعهود والمواثيق إنما هي من أجل تحقيق مصالح ذاتية، وهي تحمُّلُ الصديق لعثرات أصدقائه، فبمجرد تحقيق تلك المآرب، تنفض تلك الصدقات، فهي إذن غرم وليست غنمًا:

لَا يَحْمِـــــــلُ الطَّيـــــَّـــارُ وِزْرَ حَمـــــْـــلَ ابـــــْـــنِ آدَمَ عَثـــــــــْـــرَةَ

**٢ – المرأة:**

إذا كان العقاد لم ينجح في صداقاته بسبب مثاليته المتناهية فيما يطلبه من كمال مطلق في الصديق، فكيف حاله يا ترى مع من شغفنه حبًا؟ فأسلمهُنَّ فؤاده ليستولين على كثير من فترات حياته، هل كانت حياته مع المحبوبة ناعمة مستقرة، أم كانت مليئة بالمنغصات؟ ولماذا عدد محبوباته؟ حتى إننا لـ "نجد في حياته أكثر من قصة حب عاشها خلال سني حياته"(٢)، فقد "شغل بالحب في صباه الباكر"(٣) في حين كان "حبه الثاني وهو في الخامسة والثلاثين من عمره"(٤)، حيث "كان طرفه الآخر أديبة ألمعية شابة هي التي عرفت في المحيط الأدبي بمي زيادة"(٥)، ثم أحب مرة ثالثة آنسة اسمها "(أليس) أو سارة، كما سماها في القصة"(٦)، كما أحب مرة رابعة فتاة "كانت تسكن بضاحية عين شمس"(٧)، أما حبه في المرة الخامسة والأخيرة "فقد شاء القدر أن يعلق قلبه بحب فتاة سمراء دعجاء العينين كانت في العشرين من

(١) السابق، ج ٦، ص٤٧٢.

(٢) العقاد (عامر) لمحات من حياة العقاد، دار الكتاب العربي، بدون، ط١، ١٩٦٨، ص١٨٣.

(٣) الجبلاوي (محمد طاهر)، من ذكرياتي في صحبة العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة، بدون، ١٩٦٧م، ص١٦٠.

(٤) السابق، ص١٦١.

(٥) العقاد (عامر)، لمحات من حياة العقاد، ص١٨٥.

(٦) السابق، ص٢٣٤.

(٧) العقاد (عامر)، غراميات العقاد، دار حراء، بدون، ص١٣٣.

عمرها وكان قد جاوز الخمسين بقليل"[١]، وهكذا تعدد حبه حيث تعلق قلبه بمجموعة من النساء "منهن الشقراء والسمراء، ومنهن التي أحبها للرشاقة والدماثة، والتي أحبها للحب والمتعة، والتي أحبها للذكاء والحصافة، والتي أحبها للعطف الأنثوي الذي يحتاج إليه الرجل الشاعر في حياته النفسية"[٢]*.

وحديث الباحث هنا لن يكون عن الجانب المثالي في حبه، بل سيكون عن سبب تعدد تلك التجارب وفشلها الواحدة تلو الأخرى، ومن تلك التجارب التي انتهت بالفشل حبه لسارة، حيث "رآها مصادفة في عرض الطريق. فلفت نظره تغير في نظام ملبسها، وتناثر في خصلات شعرها، وقد اشتم رائحة من الطيب لا تستخدمها لغير غرض. فلم يستطع أن يعلل ما رآه. وبعد لحظات من هذا اللقاء سمع ابنتها الصغيرة التي كانت تلازمها تنبس بكلمات مريبة.

دب دبيب الشك في نفسه وانصرف إلى منزله مكتئبًا حزينًا. فلم تطب له راحة ولم يهدأ له بال. وقد جافى عينه الرقاد"[٣]، ومما قاله في يوم الظنون:

يَوْمَ الظُّنُـونِ صَدَعـْتُ فِيـكَ تَجَلُّدِي ... وحَمَلـْتُ فِيـكَ الضَّيْمَ مَغْلُـولَ اليَدِ
وبَكَيـْتُ كَالطِّفْـلِ الذَّلِيـلِ أنـَا الَّذِي ... مَا لَانَ فِي صَـعْبِ الْحَوَادِثِ مِقْوَدِي
وغصِبْـتُ بِالمـَاءِ الَّـذِي أَعـْدَدْتُهُ ... لِلـرِّيِّ فِي قَفْـرِ الحَيـَاةِ المُجْهِـدِ
لَاقَيـْتُ أَهْـوَالَ الشَّدَائـِدِ كُلَّهـَا ... حَتَّى طَغـَتْ فَلَقِيـْتُ مـَا لَـمْ أَعْهَـدِ

(١) السابق، ص١٤٣.

(٢) انظر: فؤاد (نعمات أحمد)، الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد، ص١٠٩.

* للاطلاع على قصص حب العقاد، انظر كتاب غراميات العقاد، وكتاب لمحات من حياة العقاد ص١٧١ وما بعدها، وكتاب: من ذكرياتي في صحبة العقاد ص ١٥٩ وما بعدها. وكتاب: العقاد الرجل والقلم، ص٢٠٩ وما بعدها.

(٣) الجبلاوي (محمد طاهر)، من ذكرياتي في صحبة العقاد، ص١٧٤.

نَـارَ الجَحِيـمِ إليَّ غَـيْرَ ذَمِيمَـــةٍ وخـــذِي إِلَيـــكِ مَصَارِعِي فِي مَرْقَدِي
حَيْرَانَ أَنْظُـــرُ فِي السَّمَـــاءِ وفِي وأَذُوقُ طَعْـمَ المـوْتِ غَيْـرَ مُصَـرَّدِ
أَرْوَى وأَظْمَأُ عَـذْبَ مَـا أنَـا شَارِبٌ فِي حَالَـتَيَّ نَقِيـعُ سُـمِّ الأَسْـوَدِ

يقول في روايته (سارة) "كانت شكوكًا مريرة لا تغسل مرارتها كل أنهار الأرض وكل حلاوات الحياة: كانت كأنها جدران سجن مظلم ينطبق رويدًا رويدًا ولا يزال ينطبق وينطبق حتى لا منفس ولا مهرب ولا قرار..."(٢)، ويمضي العقاد في تصوير شكه فيقول:"... ألم لا نظير له في آلام النفوس والعقول، وحيرة لا تضارعها حيرة في الإحساس والتخمين..."(٣).

وكيف لا يشك، وهو يؤمن بأن الشك جبلة في نفس العاشق:

إِذَا مَا خَافَ ذُو شَـغَـــــــفٍ فَـــــذَاكَ المـــــــارِدُ انْطَلَقَـا
كَذَاكَ الشَّـــكُ فِي قَلْـــــبِي إِذَا مَـــا طَـــــافَ أَوْ طَرَقَـــا
أُكَذِّبُـــهُ، ويُحْزِنُـــــنِي كَـــأَنَّ نَذِيـــــرَهُ صَدَقَـــا
فَدَيْتُـــكِ لَا تَعُـــدِّي الْحـزْ نَ مِـــنْ ذَنْـــبِي ولَا الفَرَقَـــا
فَمَـــالِي بِالخَيَـــالِ يَـــدٌ إِذَا مَـــا خَـــالَ أَوْ خَلَقَـــا
يُوَسْـــوِسُ لِي فَأَسْمَعُـــهُ، كَذَلِـــكَ كُـــلُّ مَـــنْ عَشِقَـــا!(٤)

وقد "تعذب العقاد بالشك في سارة طويلا، حتى تيقن من خيانتها له يقينًا ليس فيه ذرة من ريبة فدفن – كما يقول– حبها بغير احتفال"(٥)، وعقد العزم على ترك البكاء:

غُفِرَ الـذَّنْـبُ مِنْ بُكَـائِي عَلَيْـكَ أَنَّنِي لَا أَعُودُ مَـا عِشْـــتُ أَبْكِي

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٤، ص٣٦٢.
(٢) العقاد (عباس محمود)، سارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون، ١٩٩٦، ص٢٨.
(٣) السابق، ص٢٩.
(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٦، ص٥١٥.
(٥) الوكيل (العوضي)، العقاد والتجديد في الشعر، ص٨٨.

لَا يُسَـــاوِي -وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْكَ- نَسْـــلُ حَوَّائِكـــُنَّ دَمْعَـــةَ شَـــكِّ

خَـيْرُ مَـا فِي النِّسَـاءِ سَاعَـةُ

ضَحِـــكِ[1]

وكيف لا يدع البكاء عليها، وقد أصبحت ملكًا مشاعًا يغشاه من رغب، وتأبى نفس العقاد هذا النوع من النساء "فقد عرض عليه صديق*من خلصائه أن يقبل سارة كامرأة ويستمتع بما تهبه من متع الحياة ولهوها فأبت نفسه"[2]، فقد غدا جمالها في نفسه سمًّا يستحيل الصفو معه:

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَـــى بِكِ اليَوْمَ للهَوَى وأَرْتَـادَ فِيكِ اللَّهْـــوَ بعـــدَ التَعَبُّـــدِ

وأَلْقَـاكِ جِسْمـًا مُسْتَبَاحـًا وطَالمَـا لَقِيتُـكِ جَـمَّ الخَـوفِ جَـمَّ التـَـــردُّدِ

رُوَيـْدَكِ إنـِّـي لَا أَرَاكِ مَلِيئَـــةً بِلَذَّةِ جُثْمَـانٍ ولَا طِيـــبِ مَشْهَـــــدِ

جَمَالُـــكِ سُمٌّ فِي الضُّلُـوعِ وعَثْـرَةٌ تـَرُدُّ مِهَـادَ الصَّفْـوِ غَيْـرَ مُمَهَّـــدِ[3]

وأورثته تجربته في حبه لسارة قناعة بأن الوفاء هو مجرد ألفاظ تدور على لسان المحبوبة؛ لذلك فإنه "قبل أن يصبح طرفًا في حب لا يفرض على صاحبته الوفاء"[4]، ولذا أعفى الفتاة السمراء من الوفاء:

أُعْفِيـــكَ مِـــنْ حِلْيَـــةِ الوَفَاءِ إنَّـكِ أَحْلَى مِـــــــــنَ الوَفَـاءِ!

خُونِي! فَمَـا أَسْـــهَـلَ التَقَصِّـــي عِـنْـدِي وَمَـا أَسْـــهَـلَ الَـجـزَاءِ!

وَلَيـْـــسَ بِالسَّهْـــلِ فِي حِسَابِي فَقْـــــدُكِ يَـــا زِينَـــــةَ النِّسَاءِ[5]

لقد ذاق من تجاربه السالفة في فراق المحبوبة ما تصدع له فؤاده، فلم يعد قادرًا على خوض غمار مثل تلك التجارب القاسية، لذا صرح لها بإعفائها

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٥، ص٤٣٨.

* هو الشاعر عبد الرحمن صدقي.

(٢) العقاد (عامر)، لمحات من حياة العقاد، ص٢٤٥.

(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٤، ص٣٦٦، ٣٦٧.

(٤) الوكيل، العوضي، العقاد والتجديد في الشعر، ص٩٠.

(٥) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٨، ص٦٦٩، ٦٧٠.

من الوفاء، ولكنه في الحقيقة لم يقبل خيانتها كما زعم بل "خرج العقاد من هذه التجربة العاطفية القاسية بأشياء لا تقل قيمتها عن تلك السمراء التي لفظها قلبه فقد عرف منها أن المرأة خداع وأن هذا السلاح هو ما تتستر خلفه في هذه الحياة الدنيا وأنه طلاء الزينة ورياضة لنفس حواء تعيش عليها وهي لا تفرق بهذا الخداع بين من يحبونها أو يعادونها"(١):

خَـــلِّ الْمَـــلَامَ فَلَيْـــسَ يُثْنِيهَا ... حُـبُّ الِـخـدَاعِ طَـبِـيـعَـةٌ فِـيـهَـا
هُـوَ سِتْرُهَـــا وَطِـــلَاءُ زِينَتِهَا ... وِرِيَاضَـــةٌ للنَّفْـــسِ تُحْيِيهَا
وسِلَاحُهَـــا فِيمَـــا تُكِيدُ بِـهِ ... مَـــنْ يَصْطَفِيهَـــا أَوْ يُعَادِيهَا
وَهُوَ انْتِقَامُ الضَّعِيـــفِ يُنْقِذُهَا ... مِـــنْ طُـــولِ ذُلٍّ بَاتَ يُشْقِيهَا
أَنْـتَ الْمَلُـــومُ إِذَا أَرَدْتَ لهَـا ... مَـا لَـمْ يُـــرِدْهُ قَضَـــاءُ بَارِيهَا
خُنْهَـــا! ولا تُخْلِـــصْ لَهَا أَبَدًا ... تَخْلُـــصْ إِلَـى أَغْلَـــى غَوَالِيهَا!(٢)

إن الملوم هو من يطلب منها خلاف جبلتها، فالحل يكون في خيانتها، ليكون الجزاء بالمثل؛ لأن ذلك هو أغلى ما تملك، فديدنها نقض الأيمان وخيانة العهد، سواء مع بنات جنسها أو مع من يهواها:

وَفَـــاءُ بَنَـــاتِ حَـــوَّاءَ قُيُـــودٌ ... تُصَـاغُ لَهُـــنَّ مِـــنْ طَبْـــعٍ وعُـــرْفِ
فَمَـــا فِيهِـــنَّ مُخْلِصَـــةٌ لِأُخْـرَى ... وَمَـــا فِيهِـــنَّ مُخْلِصَـــةٌ لِإِلْـفِ
تُطِيعُ عَلَى اضْـــطِرَارٍ كُـلُّ أُنْثَى ... وَلَا تُصْـــغِي لِعَهْـــدٍ أَوْ لِحِلْـــفِ(٣)

ونتيجة لـ "يأسه من إصلاح ما طبعت عليه تلك المرأة...فإنه يبدي غيظه ومرارته لا من فحوى الخطاب وحسب وإنما من دعائه عليها صراحة نتيجة للانحراف بأن تشرب الكأس مرًا، وأن يقال عنها مجنونة"(٤)، يقول:

---

(١) العقاد (عامر)، غراميات العقاد، ص١٦٤.
(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٨، ص٦٨١.
(٣) السابق، ج ٩، ص٧٧٢.
(٤) البقري، أحمد ماهر محمد، العقاد الرجل والقلم، ص٢٥٣.

خُـذِي عَشِـــيـقَـيـنِ مِـثْـلِـي لَا بَـلْ خُـذِي الـنَّـاسَ طُـرًّا[1]

يَلْقَـــاكِ هـــَـــذَا بِلَيـــلٍ وذَاكَ يَلْقَـــــاكِ ظُهْـــــرَا

إنْ تَخْدَعِـــي رَبَّ نُبـــْـــلٍ يَخْدَعْـــــكِ نـــَـــذْلانِ مَكْرَا

وَتَشْـــــرَبِي الجَـــــامَ مُـــــرًّا

حـــَـــتَّى يُقَـــــالَ جُنِنْـــــتِ

قـــَـــدْ هِنـــْـــتِ واللهِ هِنـــْـــتِ[2]

ونرى "العقاد يجعل هذه القصيدة في ديوانه (أعاصير مغرب) وهو مما قيل في فترة غروب حياته ونهايتها" وكأن هذه الصورة هي الصورة النهاية التي استقرت في ذهنه عن المرأة.

وبهذه التجارب القاسية في خريف العمر "دفن العقاد حبه الأخير وحثا عليه التراب آخر الأبد... وقد هانت المرأة المحبوبة وهان الحب"[3].

(١) طُرًّا: جميعًا. الصحاح، ج٢، ص٧٢٥.

(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٨، ص٦٩٥.

(٣) انظر الجبلاوي، محمد طاهر، من ذكرياتي في صحبة العقاد، ص١٨٩.

**المبحث الرابع: الصراع مع الزمن:**

الصراع مع الزمن قديم في الأدب العربي، "فما من أديب، ولا عالم قال شعرًا إلا وشكا من سوء حظه وعتب على الزمان، وأنحى على الأيام باللائمة. عاتب الزمن على رفع الجهلاء، وإهمال حق الفضلاء... ويعد هذا النوع من الشكوى إفرازًا طبيعيًا لقسوة الحياة، وارتباك الأوضاع العامة بداية من الواقع العام وانتهاء بالواقع الخاص"(١).

ومما لا شك فيه أن سبب التشاؤم من الزمن هو المصائب والمحن التي ألمت بالناس فصبغت حياتهم بالحزن والقلق والكآبة وتركت في نفوسهم غيظًا وحنقًا على الواقع بأسره.

وقد يكون الحديث عن الزمن حديثًا عن أهله وتعبير عن الغيظ عليهم، لكن الشعراء "لم يستطيعوا أن يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين والطغاة بظلمهم وطغيانهم خوفًا من البطش والتنكيل؛ لهذا تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكنوا عنه بالزمان أو الدهر أو الدنيا أو نحو ذلك من الألفاظ التي توهموها قوة مسيطرة على هذا العالم تدبر شؤونه وتصرف أموره، فنسبوا إليها كل ما يصيب الإنسان في هذه الحياة من خير وشر"(٢).

والتشاؤم من الزمان يُعَدُّ من "المعاني المشتركة بين الناس على اختلاف الزمان والمكان، وهي خالدة ما بقي على وجه الأرض ظلم واستعباد واستغلال، إذا قرأناها أحسسنا في القلب وجيبًا، وفي النفس اختلاجًا؛ لأنها تعبر عما في صدورنا من سخط ونقمة على ما في دنيانا من أمور مقلوبة وأوضاع معكوسة،

---

(١) انظر، العرفج، (أحمد عبد الرحمن حسين)، شعر الشكوى عند المتنبي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، شعبة الأدب، ١٤٢٠هـ، ص٤٠.

(٢) الزهيري (محمود غناوي)، الأدب في ظل بني بويه، ماجستير في الأدب من جامعة فؤاد الأول، مطبعة الأمانة . مصر، ١٣٦٨هـ ١٩٧٩م، ص٢٤٣.

ونظم فاسدة، أورثتنا كثيرا من ألوان البؤس والحرمان، ومن هنا كان الخلود صفة لازمة لأدب الشكوى من الزمان"[١].

وإذا كان التشاؤم من الزمن مطردًا في الأدب العربي على مر عصوره، فإن الزمن الذي عاش فيه العقاد خليق به أكثر من غيره، حيث شهد كثيرًا من الحوادث والمتغيرات والأزمات والحروب التي غيرت وجه الأرض، وسطت على ثقافة الشعوب ومقدراتها، وأعادت تشكيل قيمها وأخلاقها، "فمن نتائج الحرب العالمية الأولى أن اندثرت الإمبراطورية العثمانية، التي كانت أنجح نظام سياسي في التاريخ الإسلامي... وقد مهد السقوط النهائي للنظام العثماني لظهور حركة قومية، كانت مكبوتة خلال أيام الحرب، وصاحب ظهور الأشكال السياسية الجديدة عواطف جياشة اجتاحت الجماهير العربية وقياداتها المختلفة. وفي بعض الأحيان، تحولت هذه العواطف الوطنية الجياشة، وما واجهها من قمع من قبل القوى الغربية، إلى حركات ثورية حقيقة مثلما حدث في مصر في عام ١٩١٩م، والعراق في عام ١٩٢٠م"[٢]، وقد أحدثت تلك الوقائع صدمة للشعوب العربية، وخلفت داءً وبيلًا على ذوي النفوس الرقيقة الشعور، مما جعل تلك الفترة تقف فريدة بين غيرها من الفترات السابقة لها.

ولا شك أن العقاد قد استشعر هذه المشكلات المعقدة التي غيرت المجتمع من حوله وأطفأت الابتسامة الصادقة؛ ولذا وجدناه يقول في تقديمه لديوان المازني "فإذا رأيت شاعرًا مطبوعًا في أمثال هذه الفترة المشؤومة يبتهج

---

(١) انظر: السابق، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) انظر: السبيل (عبد العزيز)، وباقادر، (أبو بكر)، والشوكاني (محمد)، الأدب العربي الحديث (تاريخ كيمبردج للأدب العربي)، النادي الأدبي الثقافي . جدة، ط١، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢، ص١٣٣، ١٣٤.

ويضحك، فاعلم أن بين جنبيه قلبًا صدئ من نار الألم، أو حمأة الشهوات، وإلا فهو رجل مقلد ينظم بلسانه، ولا ينظم بوجدانه"(١).

لقد رأى العقاد أن هذا العصر لبس قناعًا منمقًا من الحضارة والرقي، بينما يخفي خلف ذلك القناع كثيرًا من الشر والفساد. فكل سوء وبأس وكل إخفاق وتردّ مرجعه إلى عصره المتبدل المتلون، "وإذا كانت الدنيا لا تخلو من الشرور والآلام، فلا مفر للمرء من أن يصيبه شيء منها، فتجعله هذه الآلام ينعى الدنيا ويذمها، وقد تضيق نفسه في بعض الأحيان بهذه المصائب والبلايا، فيقع في لعن الحياة، وتسود نظرته إلى الدنيا... وعلى هذا النحو كان العقاد معايشًا أحداث الحياة، فإذا أصابته مصيبة أو ضاقت به سبل الحياة ترجم عن ذلك في شعره"(٢)؛ ولذا كثر تشاؤمه من مصائب الدهر، ومآسيه التي انعكست على حياة الناس، فولدت في دواخلهم لواعج الألم والرفض المقترن بالبكاء على الأوضاع السائدة، والتسخط على الزمن المتسلط.

فالزمن هو الذي يلعب بالصداقات، فيجعل من الأعداء أصدقاء، ويفرق بين الحميم وحميمه، كيفما أراد ومتى ما أراد، فكل الاضطرابات الاجتماعية، وجميع التقلبات الإنسانية إنما هي صنيعة للزمن، فما حدثت الفرقة بين الخلطاء ولا العداوة بين القرناء إلا بفعل الزمن الذي لا يقر له قرار:

وَهِـــــــــيَ القُلُوبُ بِأَيدِي الزَّمَا ... نِ يُقَلِّـبُ أَهْوَاءَهَـا كَـيْفَ شَـــاءْ

فْآنَا يُقَـــــــــرِّبُ بَيْنَ العِـــدَا ... ةِ وَآنَا يُفَـــــــرِّقُ شَمْـــلَ الوَلَاءْ(٣)

(١) مقدمة العقاد لديوان المازني، المازني (إبراهيم عبد القادر)، ديوان المازني، ص٢٠.

(٢) انظر: التونسي، (محمد خليفة)، العقاد دراسة وتحية "بمناسبة بلوغ السبعين "، ص٢٥٨.

(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٣٧.

وفي ثورة عارمة يرسم لنا العقاد صورة قاتمة لزمنه، فقد انتشرت فيه الجهالات، وسادت المنكرات، وانتفشت الضلالات، وتوارت المكرمات، ونُغصت الطيبات، حتى أصبح منتن الرائحة، دنس الهواء، فهو زمن لا شبيه له في الأزمنة السابقة:

فَشَـتِ الجَهَالَةُ واسْـتَفَاضَ الْمُنْكَرُ ... فَـالْحَقُّ يَهْمِسُ والضَّـلَالَـةُ تَجْهَرُ
والصِّـدْقُ يَسْـرِي فِي الظَّلَامِ مُلَثَّمًا ... وَيَسِـيرُ فِي الصُّـبْحِ الرِّيَاءُ فَيُسْـفِرُ
بِئْسَ الزَّمَـانُ لَقَدْ حَسِـبْتَ هَوَاءَهُ ... دَنَسًـا وأَنَّ بِحَـارَهُ لا تَطْهُـرُ
وكَـأَنَّ كُـلَّ الطَّيِّبَـاتِ يَرُدُّهَـا ... فِيـهِ إِلَـى شَـرِّ الْأُمُـورِ مُدَبِّـرُ(١)

فأطيب ما في الزمن يرد إلى الشر، ثم إن السبق والريادة فيه لم تكن بالكفاءة، وإنما بالتسلق على أكتاف الغير، واستثمار جهودهم، فتقدم من تقدم فيه تأخر ومهانة؛ لأن تقدمه جاء بابتذال عرضه، وتدنيس شرفه. فالهمج الرعاع هم سادت زمنه:

سَبَـقَ اللِّئَامُ إِلَى ذُراهُ فَقَهْقَهُـوا ... إِنَّ الْقُـرُودَ لِبِالتَّسَلُّـقِ أَخْـبَرُ
مَا نِيـلَ فِيـهِ مَطْلَـبٌ إِلَّا لَـهُ ... ثَمَنٌ مِـنَ الْعِـرْضِ الْوَفِـيرِ مُقَـدَّرُ
وبِقَـدْرِ مَـا بَـذَلَ امْرُؤٌ مِنْ قَـدْرِهِ ... يُجْزَى، فَـأَكْبَرُ مَنْ تَرَاهُ الأَصْـغَرُ(٢)

وهو في حكمه على الزمن بالفساد والظلم لم يقضِ بلا دليل، فأفعال الزمن خير دليل على صحة ما ذهب إليه العقاد، فالموازين فيه منكوسة تشاهد بالعين المجردة، وهذا الانتكاس في الموازين ليس أمرًا مستحدثًا اختص به عصر الشاعر – وإن برز فيه – بل هو جبلة مستقرة في الزمن لا يخالف فيها أحد. فهو يقدم الأراذل ويؤخر الأكفاء. ويتحكم فيه متنفذون لا قدر لهم ولا مكانة:

لا تَشْـكُ هَـذَا الزَّمَـانَ مُرْتَجِلًا ... وَانْظُـرْ بِـعَيْنِـكَ بَـعْضَ مَـا فَـعَلَا

(١) السابق، ج ١، ص١٤٣، ١٤٤.
(٢) السابق، ج١، ص١٤٤.

طَبِيعَـــةٌ فِيـــــهِ – لَا مَـــلَامَ ولَا كَلَامَ فِيهَـــا – إعْـــلَاءُ مَـــنْ سَفَلَا
إمَّعـــــةٌ فِيـــــهِ يَصْـــرَعُ البَطَلا وذَرَّةٌ فِيـــــــهِ تَنْسِـــــفُ الجَبَـــلَا
وَسِفْلـــــةٌ فِيـــــهِ قَوَّضُـــــوا دُوَلًا وأَهْبَطُـــــوا فـــــي مَكَانِهـــــا دُوَلَا[١]

إن هذا الزمن أشبه ما يكون بفتاة مجنونة، تغيرت عندها الحقائق، وانتكست لديها الموازين، فأصبحت تستحسن القبيح وتستقبح الحسن، ومع ذا فهي تستطيع أن تغوي الناس وتفتنهم، ولا تحقق لهم من وراء ذلك الافتتان إلا الويل والثبور:

إنَّ الحَيـــــــاةَ فَتَـــــــــاةٌ بِنَفْسِهـــــا مَفْتُونـــــــــةْ
تَـــرَى الـــقَـــبِـــيـــحَ جَـــمِـــيـــلًا وَيْلـــــــي مِـــــــنَ المجنُونَةْ[٢]

إنه زمن مترع بالمتناقضات، متلاطم بالمتضادات، لا يقر له قرار، ولا يُعرف خيره من شره، بل إن الشر كامن فيما يجود به، فالناجي من الشقاء هو من يفلت من نعيم الزمن:

إنَّ الحياةَ –ومَا حَيِيتُ لِكَيْ تَرَى سِـــرَّ الحَيَـاةِ– كَثِيرةُ الْأَضْـــدَادِ
فَلَئِنْ عَـدَوْتَ مِنَ الحَيَـاةِ نَعِيمَهَـا فَلَقَـدْ عَـدَاكَ شَـــقَـاؤُهـا الْمُتَمَـادِي[٣]

والزمن من أوله إلى آخره حقير لا صفو فيه، فهو يكدر أحسن الطيبات، وينغص أفضل الخيرات، بل ينجسها بالأقذار، فالويل لمن عاش فيه:

وَيْلَاهُ! مَا أَحْقَرَ الدُّنْيَا وأَبْغَضَـــهَا لَمْ يَنجُ أَحْسَـــنُ مَا فِيهَا مِنَ القَدَرِ[٤]

وهو يجند أيامه لقيادة الحرب على بني الإنسان ومقارعتهم، فإذا بها تدير الجحافل المتتابعة الواحد تلو الآخر؛ لتولى بالخيرات وتذهب بالطيبات، وتهبنا الحسرات، وتورثنا الندامات، ففي زيادتها مضاعفة للمصائب، وتعذيب

(١) السابق، ج٩، ص٧٦٩.
(٢) السابق، ج ١، ص١٥٢.
(٣) السابق، ج ١، ص١٦٢.
(٤) السابق، ج ٢، ص٢١٢.

للإنسان. فالزمن قوة جبارة لا يستطيع الإنسان الضعيف الخائر مقارعة تلك القوة، فهي تغنم من مفاصله يومًا تلو الآخر، ولا حيلة لأبناء هذا الزمن إلا التسليم بما يقضي، والانصياع لما يملي:

وَتَـاللهِ مَـا الْأَيـامُ إلَّا عِـدَاتُـنَـا ... تُـدِيرُ عَلَيْنَـا جَحْفَلًا بَعْـدَ جَحْفَـلِ
تُوَلِّي بِأَجْـــزَاءِ الحيـــاةِ غَنِيمَـةً ... وتُقْبِـــلُ إقبَـــالَ الكَمِيِّ لِأَعـــزَلِ
تُوَلِّي بَمَحْيَانـــا وتُقْبِـلُ بِالـرَّدَى ... فَفِيمَ نُلَاقِيهـــا لِقـــاءَ مُهـــلِّلِ
وَمَنْ عَـاشَ يَوْمًـا بَعَـدَ يَوْمٍ فَـإِنَّمَـا ... يُقَطِّعُ مِنْـهُ مَفْصِـــلٌ بَعْدَ مَفْصِـــلِ(١)

إن محاولة الوقوف في وجه هذه القوة ليس إلا ضربًا من الجنون، فما جدوى التحصن والتوقي ضد قوة عاتية تمتلك القدرة على الفعل المؤثر، والتدمير الشامل لكل شيء، فهذه القوة تحيل الجبال الراسيات إلى أطلال بالية:

حَرِصَ الزَّمَـانُ عَلَيـكَ وهْوَ مُوَكِّـلٌ ... بِالشَّامِخَـــاتِ يُحِيلُهَـــا أَطْـــلَالَا(٢)

والزمن في معركته مع بني الإنسان متمرس، فمن وسائله التي يلجأ إليها في هذه المعركة الأبدية الخداع. فهو يتحين أوقات الظلام ليصوب سهامه تجاههم؛ كي لا يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم أو اتقاء السهام الموجهة إليهم، ثم إن تلك السهام قد أجيد صنعها فلا نور لها ولا صوت، فلا يعلم المستهدف إلا حين تستقر في جسده:

هـذَا قُصـــارَاكَ فِي الدُّنْيـــا وَأَحْسِبُهَا ... تَـلْهُو بِنَـــا، بِيَـدٍ هَوْجَـاءَ، لَا بِفَمِ
مَالَتْ عَلَى القَوْسِ تَرْمِينَا عَلَى غَرَرٍ ... مِـــــنَ الظَّـــلَامِ، بِلَا وَرْيٍ وَلَا نَغَمِ(٣)

(١) السابق، ج ٢، ص١٩٠.
(٢) السابق، ج ٢، ص١٧١.
(٣) السابق، ج ٣، ص٢٧٠.

وهذا العدو يستمر في خداعه فلا يقتصر على المواجهات البينة، بحيث يستطيع الإنسان الإعداد والحذر، بل هو متربص في كل حين، فهو ينصب شراكه في كل مكان للإيقاع بهذا الإنسان في أية لحظة:

كَمْ صَـــحِبْنَـا الزَّمَـانَ حُلْوًا وَمُرًّا وَخُـطُوبُ الـزَّمَـانِ بِـالْمِرْصَـــادِ[١]

وهذه الشراك متقنة، لا يُنجي منها بَرٌّ ولا بحر ولا سماء، فلا يمكن لأحد أن يفلت من الوقوع فيها:

حَبَائِـــلُ الدَّهْـــرِ قَانِصَـــاتٌ مَـنْ طَـارَ أَوْ غَـاصَ أَوْ خَـطَـرْ

مَنْ عَـاشَ يَوْمًـا أَوْ بَعْضَ يَومٍ يَعْلَـمُ مَـا ضَـــــرِبَةُ القَـــدَرْ[٢]

لقد أعلن العقاد "بصوت الحكمة الأبدية أن الشقاء والموت سيفان مصلتان على رقاب كل الكائنات"[٣].

والزمن في هذه الحرب المستعرة والممتدة لا ينفك يدبر الحيل وينوع فيها، فيتخذ البراقع ليخفي وراءها وجوهه المتعددة، ويستخدم الطلاء ليجمل قبحها؛ لأن الإنسان لو رآها أو أبصر حقيقتها لما انخدع بها، بل لَوَلَّى مذعورًا من سوء منظرها، فإذا رأى الوجه المبرقع في الغداة انخدع به فبدا له وسيمًا، ولكن سرعان ما تتكشف دمامته إذا نزُع عنه البرقع:

وُجـــُوهُ حَيَاتِنـــــَـا مُتَعَدِّدَاتٌ فَـدَعْ عَـنْـكَ الْـبَـرَاقِـعَ وَالـطِّـلَاءَ

فَإِنْ تَحْمَدْ وَسَـــامَتَهَا صَـــبَاحًا فَقَـــــَدْ تَنْعِي دَمَامَتَهَـــا مَسَاءَ[٤]

---

(١) السابق، ج ١٠، ص٩١٢.

(٢) السابق، ج ١، ص١٣٠.

(٣) عوض (إبراهيم)، في الشعر العربي الحديث تحليل وتذوق، المنار للطباعة والكمبيوتر، بدون، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، ص٩٨.

(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٥، ص٤٠١.

ويقف الشاعر مشدوهًا أمام دهاء الزمن في قيادة الحرب ضد الإنسان، وفي تنوع وسائله وتعدد خططه، ويتعجب من نجاحه في استدراج العالمين ومن ثم الإيقاع بهم، وإيهامهم بالحسن والزهو في خضم الأحزان والمآسي:

لَحَسِبْتَ مِنْ خُبْثِ الحَيَا ... ةِ وَحُكْمِهَا فِي الْعَالَمِينَا
أنَّ السَّمَاءَ تَحُوزُهَا ... بِالخَتْلِ أَيْدِي الْفَاسِقِينَا
لا تَزْهَوُنَّ بِحُسْنِكُمْ ... والعَيْشُ مَمْلُوءٌ شُجُونَا[1]

إنها حرب ضروس لا يسلم من شرها أحد، فالذي ينجو من القتل يقع في الأسر، ولكنه أسر بلا فكاك وبلا حمد، وكلما حاول أحدنا الثورة على آسره أثقله القيد، فهو قيد متين الصنع شديد الإحكام، يكبل بني الإنسان ويقضي على حريتهم:

أُسَارَى بِلَا أَجْرٍ نَرُوحُ وَنَغْتَدِي ... وَرُبَّ أَسِيرٍ يُفْتَدَى ولَهُ غُنْمُ
نَثُورُ عَلَى الدُّنْيَا فَتُثْقِلُ قَيْدَنَا ... فَيَا لَيْتَهُ قَيْدٌ يُنَقِّسُهُ الْحُطَمُ[2]

وبعد أن يقع الإنسان في الأسر، فإن الزمن لا يدعه وشأنه، بل يشرع في امتهانه والسخرية منه من خلال الأماني الخادعة، فيعده ويمنيه، ويزين له الأمور، فيكدح من أجل الوصول إليها، حتى إذا ما وصلها تبين له أنه كان يلهث وراء سراب، فكأن الزمن إنسان يداعب طفلًا، فيبعد عنه الشيء ثم يغريه به، فيصاب بالضعف والهلاك والسقم الشديد شوقًا إلى ذلك المخبأ عنه، فإذا وصل إليه لم يجد فيه فائدةً بل يجد الأمر مجرد لعبة، وهكذا الكرة تلو الأخرى، فالحياة لا تدع المرء وشانه بل تقوم بمناداته باستمرار، لتقدم له في كل مرة العرض نفسه:

حَيَاتُكَ مَا زَالَتْ تُنَادِيكَ أَنَّهَا ... تَسُومُكَ جَهْدًا عَابِثًا وكِيدَا
تُجَاهِدُ فِي أَمْرٍ إِذَا مَا بَلَغْتَهُ ... تَبَيَّنْتَهُ لَا يَسْتَحِقُّ جِهَادَا

(١) السابق، ج ٢، ص٢١٣، ٢١٥.
(٢) السابق، ج ٢، ص٢٥٣.

وتَضْـنَى عَلَيـهِ لَهْفَـةً قَبْـلَ دَرْكِـهِ فَـإِنْ تَسْتَفِـدْهُ لَـمْ تَجِـدْهُ أَفَـادَا
أَتِلْـكَ مَعَارِيـجُ ارْتِقَـاءٍ وَرِفْعَـةٍ لَعَمْـرُ النُّهَـى، أَمْ لُعْبَـةٌ تَتَمَـادَى[١]

وهذا اللهو مع الإنسان هو في الحقيقة لهو به، فالإنسان بالنسبة إلى الزمن مجرد لعبة مبتذلة لا قيمة لها، فهو يلهيه بأقل الأشياء وأبخسها، ليصرفه عن الخيرات:

وَلَوْلَا الـدَّهْرُ بـالإِنْسَـانِ يَلْهُو وَيَبْلُو القَلْبَ بِالغَـرَضِ الْخَسِيسِ
لمـَا أَلْهَـاهُ عَـنْ آسٍ وَوَرْدٍ بِحَبَّـاتٍ مِـنَ الـبُرِّ الـدَّرِيسِ[٢]

والعقاد بعد أن وصف هذه الحرب الممتدة بين الزمن والإنسان – والمحسومة سلفًا لصالح الزمن المتفوق في القوة والتخطيط– ينعي على الجنين تركه لبطن أمه وخروجه إلى أرض لم يجد فيها أبوه إلا الحيرة والهم، ويرى أن ذلك دليل على الحمق والطيش والغرور، فالأرض في منظور الشاعر ترتبط بالشقاء والحيف والتعاسة والبلاء، وكل معاني القسوة والشؤم:

فِيمَ اقْتِحَـامُ جَنِينٍ واهِنٍ عُطُـلِ[٣] أَرْضًـا أَبُوهُ بِهَـا حَيْرَانُ مَهْمُومُ؟
هِيَ الرُّعُونَةُ طَبْعُ الحَيَـاةِ ثَوَتْ وإنمَّـا حِكْمَـةُ الْأَقْـوَامِ تَعْلِيـمُ[٤]

**ويقول:**

تَـجَـمَّـعَ فِـي إِهَـابِ الـطِّـفْـلِ كُـلُّ غَـرَارَةِ الـدُّنْـيَـا
لِيَطْـرُقَ بَابَهَـا طَوْعًـا وَيَـدْرُجَ فَوْقَهَـا حَيًّا
أَيَـتْرُكُ بَطْـنَ وَالِـدَةٍ لَـوَ انَّ لِمِثْلِـهِ رَأْيَـا [٥]

(١) السابق، ج ٩، ص٧٧٢.
(٢) السابق، ج ١، ص١٢٤.
(٣) عُطُل: يستعمل العَطَلُ في الخلوّ من الشيء وإن كان أصله في الحُليّ، يقال عَطِلَ الرجلُ من المال والأدب، فهو عُطْلٌ وعُطُلٌ. الصحاح، ج٤، ص١٧٦٧.
(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٥، ص٣٩٦.
(٥) السابق ج ٥، ص٣٩٦.

ويوظف العقاد خَلْقَ التوأم لتأكيد رؤيته تجاه الزمن، فيقول: إن التوأم أحزم من آبائه الذين جاءوا إلى الدنيا فرادى، فهو لم ياتِ إليها إلا بصاحب يعينه على أكدارها، ويؤازره على مقارعة خطوبها، ولو أحكم أمره لأتى معه بجيش لا بفرد، ليقف معه في مواجهة جحافلها، وهو هنا يؤكد فكرة الحرب المحتدمة بين الإنسان والزمن:

حَكِيـــمٌ ذَلِكَ التـــــــــوْأَمُ ... وَمِـــــــنْ آبَائِـــــهِ أَحَـــــــــزَمْ

تَهَيَّبَ أَرْضَهُمْ فـــــــــــرْدًا ... فَـــجَـــاءَ بِصَـــــاحِـــبٍ مُـــلْـــزِمْ!

ولَـــــــوْ جَـــــاءَ بِجَيْـــــشٍ كَا ... نَ فِـــــــي تَدْبِيـــــــرِهِ أَحْكَـــــمْ![1]

وهؤلاء الأطفال الذين جاءوا إلى الدنيا لو علموا ما يُخبأ لهم في مستقبل أيامهم، لحافظوا على دموعهم التي ذرفوها في طفولتهم؛ لأن الحاجة ماسة إليها عندما تتكشف لهم الدنيا على حقيقتها، فهذه الدموع كنز يهدر في غير محله، لأن الدنيا تُبكي الإنسان في وقت يكون قد نزف فيه دمع عينيه، فلم يبق له ما يسعفه عند الحاجة إليه، وما ذلك إلا لجهل الأطفال بنكد الدنيا وكدرها، فلو علموا لادخروا بكاءهم لما يتربص بهم من الكروب التي تداهمهم في قابل الأيام:

لَوْ عَلِمْنَـــا حَظَّنَـــــا مِـــنْ يَوْمِنَا ... مَا بَكَى الصِّـــبْيَةُ فِي غَضِّ السِّـــنِينَ

أَيُّ كَنْـــزٍ قَـدْ سَفَكْنَـــــاهُ عَلَى ... حَسَرَاتٍ تُضْحِكُ الْقَلْبَ الْحَزِينَ

حُجِبَـــتْ عَنَـــّا مَزَايـــــا عُمْرِنَـا ... فَبَـكَى مَـــنْ هُـــوَ بِالصَّفْـوِ قَمِينُ[2]

لَوْ دَرَى الطِّفْـلُ بِمَـا سَـــوْفَ يَرَى ... شَقِيَ الطِّفْـلُ بِمَا سَـوْفَ يَـكُونُ[3]

وهذه النظرة المتشائمة إلى الدهر تركت نفسًا شاكية متبرمة من الدهر، لا ترى فيه إلا الشر المستطير، ووصلت بالعقاد إلى حد التطرف في النظرة،

---

(١) السابق، ج ٥، ص٣٩٦.

(٢) قَمِين: خليق وجدير. الصحاح، ج٥، ص٢١٨٤.

(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٣، ص٢٤١.

والشطط في الحكم، فلم يقبل من الدهر أي حُسنٍ أو جمال بل أخذ يسب الدهر ويلعنه، ويطلب منه أن يدعه وشأنه، يقول في قصيدة عنون لها بـ (هجاء الدهر):

أَبَاسِمٌ تُغْنِّي؟ لُعِنْتَ شَرَّ لَعْنِ
وَإِنْ عَدَاكَ الْمُثَنِّي خُذِ الثَّنَاءَ مِنِّي
يَا دَهْرُ وَامْضِ عَنِّي
كُنْ عَابِسًا قَطُوبَا أَوْ ضَاحِكًا طَرُوبَا
مَا أَشْبَهُ الْمَوْهُوبَا عِنْدَكَ وَالْمَسْلُوبَا
إِلَيْكَ! دَعْنِي دَعْنِي
أَمَا نُحِيِّ السُّرُورَ؟ خُذْهُ وَبِئْسَ مَدْحُورًا
لَوْ لَمْ أَكُنْ مَوْتُورَا[1] أَشْكُو الْأَذَى الْمَقْدُورَا
مَا شَاقَنِي بِحُسْنِ[2]

وذهبت به هذه النظرة القاتمة الكئيبة للزمن والوجود إلى أقصى مدى من اليأس والإحباط، فأفقدته كل معاني التطلع الروحي الرحب، ولم تبق في نفسه غير صورة مشوهة للحياة تثير في نفسه القبح والاشمئزاز، لذا نراه يذهب إلى حد بعيد من التطرف والشطط، فيفضل الإقامة في الجحيم على الاستمرار في الحياة، وهو في هذا مخالف لصريح كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، اللذين قررا لنا الشقاء الأبدي لأهل النار. وذلك في آيات وأحاديث كثيرة.

ففي قصيدة بعنوان (عيد ميلاد في الجحيم) يقدم بمقدمة نثرية يقول فيها: "دخل شقي الجحيم فحسبوه مولودًا جديدًا في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده":

(١) مَوْتُورَا: الموتُورُ: الذي قُتِل له قتيل فلم يُدْرَكْ بدمه. الصحاح، ج٢، ص٨٤٣.
(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٦، ص٥٣٩.

صُفُّوا الْمَوَائِدَ وَامْلَؤُوا الْأَكْوَابَا ... وادْعُوا الصِّحَابَ، وَبَشِّرُوا الْأَحْبَابَا
قُولُوا مَضَى عَامٌ لِيَوْمٍ ... هَذَا الْجَحِيمُ، فَقَرَّ فِيهِ وَطَابَا
وَبَلَا المقَامَ فَرَاحَ يَحْمَدُ شَرَّ مَا ... فِيهِ، وآدَبَ بِاسْمِهِ إِيدَابًا
هَذَا الْجَحِيمُ أَحَبُّ لِي مِنْ عَالَمٍ ... مَا كَانَ لِي إِلَّا رَجَاءً خَابَا
الشَّرُّ ثَمَّةَ كَانَ شَرًّا ... والخَيرُ كَانَ كَمَا عَلِمْتَ سَرَابًا
أَهْوِنْ بِصَابٍ فِي الْجَحِيمِ أَذُوقُهُ ... قَدْ كَانَ ثَمَّةَ كُلُّ شَيْءٍ صَابَا
يَا صَحْبُ حَيُّوا النَّارَ فِي ... وَاحْثُوا عَلَى ذَاكَ التُّرَابِ تُرَابَا
يَا صَحْبُ هَاتُوا مِنْ عَلَاقِمِهَا لَنَا ... وادْعُوا الأَحِبَّةَ واشْرَبُوا
مَنْ عَاشَ عَامًا فِي الجَحِيمِ فَلَا ... أَبَدًا إِلَى ذاكَ الجِوَارِ مَآبَا[٢]

ومن خلال العرض السابق يتبين لنا أن العقاد قد شعر –كغيره من– "الشعراء ذوي الاتجاه الرومانسي بالغربة والضياع في هذا العالم الواقعي المليء بالشرور البعيد عن المثال الذي يتطلعون إليه"[٣]. فلم يجد ملجًا من ذلك الواقع إلا شعره فكان مرآة صادقة لما يتلجلج في نفسه ويضطرب في فؤاده.

(١) الأَنْخَابَا: النَّخبُ: الشَّربة من الخمر أو غيرها، يشربها الرجل لصحة حبيب أو عشير أو مُحتفًى به. المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٠٨.

(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٥، ص٤١٩، ٤٢٠.

(٣) هدارة (محمد مصطفى)، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ص١٧١.

## الفصل الثاني: الدراسة الفنية:

### المبحث الأول: وحدة القصيدة:

اهتم العقاد بوحدة القصيدة تنظيرًا وتطبيقا، فالقصيدة تدور حول تجربة واحدة ولا يصح أن تتجاوزها إلى غيرها، فـ "لم تعد أنغامها تتبدد بين موضوعات مختلفة، بل أُحكم التآلف بينها، بحيث أصبح للبيت في القصيدة مكانه الذي لا يعدوه، فهو جزء من كل، أو هو عضو من جسد واحد، ومن الصعب أن ينقل إلى غير مكانه أو ينزع من موضعه"(١).

وقد كان "العقاد أكثر أعلام الديوان حديثًا عن هذه الوحدة في كتاباته، فقد جعلها المحور الذي دار عليه نقده لشوقي في كتابه الذي ألفه مع المازني باسم (الديوان)"(٢)، ومما قاله عن الوحدة: "إن القصيدة ينبغي أن تكون عملًا فنيًا تامًا يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها"(٣)، ويؤكد العقاد على مفهوم الوحدة بقوله: "فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة. أو هي كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها. ولا قوام لفن بغير ذلك حتى فنون الهمج المتأبدين فإنك تراهم يلائمون بين ألوان الخرز وأقداره في تنسيق عقودهم

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١٤٢.

(٢) ضيف (شوقي)، في النقد الأدبي، دار المعارف . القاهرة، ط٩، بدون، ص١٥٩.

(٣) العقاد (عباس محمود)، والمازني (إبراهيم عبد القادر)، الديوان في الأدب والنقد، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط٤، بدون، ص١٣٠.

وحليهم، ولا ينظمونه جزافًا إلا حيث تنزل بهم عماية الوحشية إلى حضيضها الأدنى، وليس دون ذلك غاية في الجهالة ودمامة الفطرة"(١).

ويشبه العقاد القصيدة التي فقدت الوحدة التي يطلبها بـ "الرمل المهيل لا يغير منه أن تجعل عاليه سافله أو وسطه في قمته"(٢).

أما وحدة القصيدة من خلال التطبيق فإننا "نستطيع أن نتمثلها في كثير من شعر العقاد"(٣)، وهي تبرز بوضوح في شعره ذي الصبغة التشاؤمية لـ "أننا نستطيع أن نتخذ من التوتر عند الشاعر أساسًا ديناميًا لوحدة القصيدة، فهو يساهم بنصيب كبير في تحديد الهدف والطريق إليه"(٤)، ولذا حظيت قصائد العقاد ومقطوعاته ذات الصبغة التشاؤمية بوحدة موضوعية، فالشعور بالحزن والقلق والضيق لا يختلف من بداية القصيدة أو المقطوعة إلى نهايتها، فالقصيدة تمثل "بناء حيًّا بحيث لا تتعدد أغراضها، ولا تتنافر أجزاؤها، وإنما تتناول تجربة واضحة، وتصلح لأن يوضع لها عنوان يشير إلى مضمونها، على أن تتآزر أجزاؤها ويؤدي كل منها وظيفة حية في مكانه"(٥). ومن أمثلة القصائد ذات العناوين التشاؤمية: (الإنسان والوحش، الخريف، لا طلع الصباح، كأس الموت، الربيع الحزين، أحلام الموتى، ضيق الأمل، الدنيا الميتة، القدر، الشمس الضائعة، النعيم المفقود) "فهذه القصائد لا يخرج مضمونها عن العناوين التي وضعت لها، وكل هذا يدل على قتامة نظرة

---

(١) السابق، ص١٣٠.

(٢) السابق، ص١٣٢.

(٣) العمري (زينب عبد العزيز) شعر العقاد، ص٣٠٨.

(٤) سويف (مصطفى)، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، بدون، ص٣٠٦.

(٥) هيكل (أحمد)، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص١٦١.

العقاد للحياة، فالربيع حزين والأمل ضيق والشمس ضائعة والنعيم مفقود"[١]، ومن القصائد التي توافق فيها العنوان مع المحتوى توافقًا دقيقًا قصيدة (ظمآن) التي يقول فيها:

ظَمْآنُ لَا صَـــوْبُ الغَمَـــامِ وَلَا ... عَذْبُ الْمُـــدَامِ[٢] وَلَا الْأَنْـدَاءُ تَروِينِـي

حَيْرَانُ حَيْرَانُ لَا نَجْـــمُ السَّمَـاءِ وَلَا ... مَعَـــالمُ الأَرْضِ فِي الغَمَّـــاءِ تَهْدِينِي

يَقْظَانُ يَقْظَانُ لَا طِيـــبُ الرُّقَـــادِ ... يـــُدَانِينِي وَلَا سِحْرُ السُّمَـارِ يُلْهِينِـي

غَصَّانُ غَصَّانُ لَا الأَوْجَـــــاعُ ... وَلَا الْكَـــوارثُ وَالْأَشْجَـانُ تُبْكِينِـي

شِـــعْرِي دُمُوعِي وَمَا بالشِّـــعْرِ مِنْ ... عَنِ الدُّمُـــوعِ نَفَاهَـا جَفْـنُ مَحْزُونِ

يَـا سُـوءَ مَـا أَبْقَـتِ الدُّنْيـــَا ... عَلَـى المدَامِـعِ أَجْفَـانَ المسَاكِـينِ

هُـــمْ أَطْلَقُـــوا الْحـزْنَ فَارْتَاحَتْ ... وَمَـــا اسْتَرَحْـــتُ بِحُـــزْنٍ فِيَّ مَدْفُـونِ

أَسْوانُ أَسْوانُ لَا طِـــبُّ الأُسَـــاةِ ... سِحْرُ الرُّقَاةِ مِـــنَ الـــلَّأْوَاءِ[٣] يَشْفِينِي

سَأْمَانُ سَأْمَانُ لَا صَفْـوُ الحَيـــَاةِ ... عَجَائِـبُ القَـدَرِ الْمَكْنُـــونِ تَغْنِينِـــي

أُصَاحِـبُ الدَّهْرَ لَا قَلْبٌ فيُسْعِدُنِـــي ... عَلَى الزَّمَـــانِ وَلَا خِـــلٌّ فَيَأْسُونِـــي[٤]

فهذه "القصيدة أشبه بخاطرة تتجانس عناصرها وتلتف على محور واحد هو إحساس الشاعر المضطرب. وتضخيم الأحزان، والقلق فيها يقود إلى الذروة في البيت الأخير"[٥]:

يَدَيْكَ فَامْحُ ضَـــنًى يَا مَوْتُ فِي ... فَلَسْـــــــتَ تَمْحُـــــوهُ إلَّا حِـــينَ

---

(١) شوكت (محمود) وعيد (رجاء) مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر (بحث تاريخي وتحليلي مقارن)، ص١٨٨.

(٢) الْمُـدَام: الخمرُ. الصحاح، ج٥، ص١٩٢٣.

(٣) الـــلَّأْوَاء: الشِدّة. الصحاح، ج٦، ص٢٤٧٨.

(٤) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٢، ص٢٢٦.

(٥) خليل (إبراهيم) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص١٥١.

(٦) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٢، ص٢٢٦.

وكذلك قصيدة (عيد ميلاد في الجحيم)، التي تتمحور جميع أبياتها حول تفضيل الإقامة في النار على العودة إلى العيش في الدنيا:

صُفُّوا الْمَوَائِـدَ وَامْـلَؤُوا الْأَكْوَابَا ... وادْعُوا الصِّـحَابَ، وبَشِّـرُوا الْأَحْبَابَا
قُولُوا مَضَـى عـَامٌ لِيَـوْمِ هُبُوطِـهِ ... هَـذَا الْجَحِيـمُ، فَقَـرَّ فِيـهِ وَطَابَـا
وبَلَا المقَـامَ فَـرَاحَ يَحْمَـدُ شَـرَّ مَا ... فِيـهِ، وآدَبَ بِاسمِـهِ إِيـدَابَـا
هَـذَا الجَحِيـمُ أَحَـبُّ لِي مِـنْ عَالَمٍ ... مَـا كَـانَ لِي إلا رَجَـاءً خَابَـا
الشَّـرُّ ثَمَّـةَ كَـانَ شَـرًا ... والخَـيْرُ كَـانَ كَمَـا عَلِمْـتَ سَرَابًـا
يَشْقَـى بَنُـوهُ لِيُعَمِّـرُوهُ ويُجَشِّمُوا ... فِيـهِ الشَّقَـاءِ لِيُرْجِعُـوهُ خَرابَـا
لَا يَعرِفُـونَ الحَـقَّ إِنْ سَمِعُـوا ... إِلَّا لِيَلْقَـوا فِي الحُقُـوقِ عَذَابَـا
أَهْوِنْ بِصَـابٍ فِي الجَحِيـمِ أَذُوقُـهُ ... قَدْ كَـانَ ثَمَّـةَ كُـلُّ شَـيءٍ صَـابَـا
صَابًا إِذَا ارتَـوَتِ الشِّفَـاهُ شَرِبْتُـهُ ... بالنَّاظِرِيـنَ، وسَـاءَ ذاكَ شَرابَـا
وَلَـرُبَّ وَجْـهٍ يَوْمَـذَاكَ شَهِدْتُـهُ ... فَكَـأَنَّ سُمًّـا فِي العُيُـونِ انْسَابَـا
وَجْـهُ اللئِيمِ إِذَا اسْتَهَـلَّ ومِثْلُـهُ ... وَجْـهُ الكَرِيـمِ إِذَا اضْمَحَـلَّ وذَابَـا
وَرِضَـى الظَّلُـومِ وَحِيرَةُ المظْلُـومِ ... بَلْـوَاهُ يَطْـرُقُ كُـلَّ يَـوْمٍ بَابَـا
يَا صَحْـبُ حَيُّـوا النَّـارَ فِي ... وَاحْثُـوا عَلَـى ذاكَ الـتُّرَابِ تُرَابَـا
مَا كَانَ مِـنْ حُسْنٍ هُنَاكَ فَجُهْـدُهُ ... أَنْ يَخْـدَعَ الأَبْصَـارَ والأَلْبَابَـا
أَوْ كانَ مِـنْ فَضْـلٍ هُنَاكَ فَحَسْبُـهُ ... أَنْ يَمْـلأَ الدُّنْيَـا عَلَيْـكَ صِعَـابَـا
يَا صَحْبُ هَاتُوا مِـنْ عَلاقِمِهَا لَنَا ... وادْعُـوا الْأَحِبَّـةِ واشْرَبُـوا الأَنْخَـابَـا
مَنْ عَـاشَ عَـامًا فِي الجَحِيمِ فَلَا ... أَبَـدًا إِلَـى ذاكَ الجِـوَارِ

فهذه القصائد وغيرها الكثير من القصائد والمقطوعات التي ظهر فيها تشاؤم العقاد تظهر فيها الوحدة في أوضح صورها ممثلة في عاطفة الحزن التي كستها، فـ "كل بيت خاضع لما قبله، لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات، فهو خيط في النسيج، يدخل في تكوينه، ويساعد على تشكيله. فليست القصيدة

(١) السابق، ج ٥، ص٤١٩، ٤٢٠.

خواطر مبعثرة، تتجمع في إطار موسيقي، إنما هي بنية نابضة بالحياة، بنية تتجمع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته"[١].

ولأجل تحقيق هذه الوحدة العضوية كثرت في شعر العقاد التشاؤمي المقطوعات وجدد في بعض الأحايين في قوالبه الشعرية وفي قافيته فـ "لم يعد الشكل هم الشاعر الأول، بل أصبحت التجربة والحس الفني هما اللذان يوجهانه إلى ما يختار من أشكال المقطوعات العديدة ونظام قوافيها. واستطاع الشاعر أن يحقق بين أجزاء صورته قدرًا من التكامل والتماسك يفوق ما حققه في إطار القصيدة القديم، ويُشيع في قصائده ومقطوعاته أنغامًا متعددة تلائم اللحظات النفسية المتعاقبة داخل التجربة الشعورية الواحدة"[٢].

(١) ضيف (شوقي)، في النقد الأدبي، دار المعارف . القاهرة، ط٩، بدون، ص١٥٣.

(٢) القط (عبد القادر)، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، بدون، ١٩٨٨م، ص٣٣٢.

**المبحث الثاني: اللغة:**

تُعدُّ اللغة دعامة أساسية في الشعر، فهي "وسيلة الأديب للتعبير والخلق، فاللغة هي موسيقاه وهي ألوانه وهي فكره وهي المادة الخام التي سوى منها كائنًا ذا ملامح وسمات، كائنًا ذا نبض وحركة وحياة"(١).

وأهمية اللغة "لا تقل عن أهمية المضمون الفكري أو العاطفي، فهي التي ترسم المشاهد الشعرية التي تتتابع بدواعي الشعور، وهي ليست مجرد ألفاظ سهلة يحسبها البعض في قصيدة ما سبب الجودة ودافع الإعجاب"(٢).

وهي تختلف باختلاف الانفعال لدى الشاعر، فالألفاظ التي تعبر عن الحزن والقلق والتشاؤم ألفاظ تمتاز بالسوداوية والشقاء، فالشاعر ينتقي من الألفاظ ما يعينه على التعبير عن أفكاره، وتصوير خلجات نفسه، "فاللغة هي وسيلة التعبير الطبيعية عن الأفكار والمعاني"(٣)، ومن خلالها يجعلنا الشاعر نشاركه أفراحه ونشاطره آماله، أو نعايش آلامه ونقاسي أحزانه. "وحينما تعرض اللغة لتصوير هذه الانفعالات تصويرًا صادقًا يلائم طبيعتها كانت هذه اللغة موزونة حتما لتكون عبارتها صدى لقوى العواطف والانفعالات التي تؤديها"(٤).

واللغة "تتأثر بالتطور الحضاري، وإن لم تتخذ صورة تغير حاسم من مرحلة إلى أخرى... ومنذ أن بدأ الشعراء يتجهون إلى التجربة الذاتية ويهتمون بتصوير المشاعر والانفعالات ويلتفتون إلى مشاهد الطبيعة ويربطون بينها

---

(١) العشماوي (محمد، زكي)، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، بدون، ١٩٧٩، ص٣١.

(٢) القاعود (حلمي محمد)، تطور الشعر العربي في العصر الحديث، ص٢٦٤.

(٣) أمين (أحمد) النقد الأدبي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م، ص٧٤.

(٤) الشايب (أحمد)، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة، ط٨، ١٤١١هـ . ١٩٩١م، ص٧٤.

وبين وجدانهم، أخذت طائفة كبيرة من الألفاظ المحملة بالدلالات الشعورية والجمالية تتردد في عباراتهم وصورهم، ممتزجة أحيانًا بألفاظ تقليدية، وخالصة أحيانًا لطبيعة التجربة الوجدانية الجديدة"(١).

ولغة العقاد في شعره عمومًا وفي شعره ذي الصبغة التشاؤمية تمتاز بالسلاسة، فهو يقص تجربته في يسر وسهولة دون تصنُّع أو تكلف فلا تعقيد فيها ولا غموض، حيث يندر وجود ألفاظ غريبة مهجورة، ومع ذلك "هو متعصب للفصحى ولا يقبل التساهل فيها"(٢).

كما تمتاز ألفاظه بالوضوح والدلالة على المعنى المقصود، فهي خالصة للمضمون الذي تساق من أجله. لذا نجدها تُظهر تباريح الألم التي يعانيها، وتعبر بصدق عما يقاسيه من أسى، فمعجمه في شعره التشاؤمي متميز بألفاظ الأسى والحزن والتحسر. مما يجعلنا نلمح من خلالها نفسًا كئيبة متشائمة.

ففي قصيدته "في أسوان "نجده يودع عامًا فلا يستبشر بالعام الجديد؛ لأن التشاؤم قد سيطر عليه فهو حزين يعاني من وحدة قاسية. وهذه المشاعر الحزينة تبدو واضحة لكل متلقٍ، حيث استطاعت الألفاظ أن تعبر عنها بوضوح شديد لتجعلنا نعيش وحدته ونقاسي آلامه:

أَتَـى نَـاجِـرٌ وَانْقَضَـــى نَـاجِـرٌ ... وَمِثْلُ غَدٍ أَمْســـــــــــــيَ الدَّابِرُ

طَلِيـــــــقٌ ولَيْـــسَ لَـــهُ مَذْهَبُ ... وعَانٍ ولَيـــْـسَ لـــَـــهُ آســـِـرُ

أَلِيفُ الجِبَـــــــــــالِ ويَا وَحْشَـةً ... لمَـــنْ إلْفُـــــهُ الجَبَـــلُ البـــَاسِرُ

ومَـا كُـنْـتُ فِـي غَيْرِهَـا وَادِعًـا ... فَأَزْعُـــمَ أَنِّـــَي بِهَـــا حَائـــِـرُ

أَرَانِي بَعِيـــــــدًا بِكُـــلِّ الْبِـــلَا ... دِ إذا ابْتَعَـــدَ الأَمـــَـــلُ النَّـافِـرُ

(١) القط (عبد القادر)، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص٣٥٠.

(٢) فؤاد (نعمات أحمد)، قمم أدبية (دراسات وتراجم لأعلام الأدب المصري الحديث)، ص٨٧.

سَـــــوَاءٌ عَلَـــيَّ أَدارُ السَّجِيـ ـــــنِ دَارِي أَمِ الْكَوْكَـبُ السَّـــائِرُ
أُخَـــــادِعُ نَفْسًـا تَخَـــالُ الهَنَا ءَ فِيمَـا مَضَـــى والأَذَى حَـاضِـــرُ
فيَـا نَفْسُ لَا تَبْرُمِي بِـالْمَكَـا نِ فَكَـمْ فِيـهِ قَـــدْ نَعِمَ الخَاطِـــرُ
كَأَنَّـــكِ لمْ تَبْرَحِـــــي خِـــدْرَهُ وجُرْحَـــكِ مِـــنْ سَهْمِـــهِ قَاطِـرُ
لَيـــَـالِي أَحْبَبْتُهـــَـا كَاللَّدِيـ ـــغِ وَوَجْـدُكِ عَنْ جَمْـرِهِ زَافِـرُ[1]

فالعاطفة هنا عاطفة حزينة تنبئ عن نفس متشبعة بالشؤم، وقد تجلت هذه العاطفة من خلال الألفاظ المناسبة التي انتقاها الشاعر لتكون موافقة للمعنى ومعبرة عنه بشكل دقيق، وقادرة على الإيحاء بما يختلج في نفسه. ولا يوجد في القصيدة بيت واحد إلا احتوى على لفظ حزين أو أكثر، وهذا يعكس حالة الألم النفسي واليأس والحيرة والتشتت. ومن ألفاظ القصيدة التي أوقفتنا على معاناة الشاعر. (عانٍ، ووحشة، وأقفر، وحائر، وبعيدًا، والأمل النافر، والسجين، والأذى، وتبرمي، وجرحك، وقاطر، واللديغ، وجمره، وزافر)، وهي ألفاظ ملائمة لعواطفه، فهي مشحونة بالحزن والألم والتعاسة.

ومن الأمثلة أيضًا على استخدام العقاد الألفاظ ذات الدلالات الوجدانية الموحية التي تعبر بصدق عمَّا يتلجلج في صدره قوله:

وَالْمَـاءُ كَالْمَمْـرُورِ فِي وَسْوَاسِـهِ يَشْجُـــــوكَ مِنْهُ تَرَنُّـــمُ المفْجُوعِ
وَالشَّـمْسُ سَـاهِيةُ الشُّـعَاعِ كَمُقْلَةٍ وَطْفَـاءَ[2] جَلَّلَهَـا البُكَى بِـدُمُوعِ[3]

فألفاظ (يشجوك، والمفجوع، وساهية، ووطفاء، والبكى، ودموع) ذات دلالات وجدانية موحية، تشوبها نغمة حزينة. وقد تضافرت جميعًا للتعبير عن نفسه، فصورت لنا بدقة ما تعانيه هذه النفس من حزن وكآبة.

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص١٤٧، ١٤٨.
(٢) وَطْفَاءَ: الوَطَفُ: كثرة شَعَر العين والحاجبين. الصحاح، ج٤، ص١٤٣٩.
(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ١، ص٥٣.

إن ألفاظ العقاد عبارة عن صدى لما يشعر به من المرارة. "ولكن تلك المرارة، لم تكن داعية إلى إضعاف لذة التغريد فإن من قيد البحث بنفوس الشعراء، علم أن المرارة لا تمحو تلك اللذة. وإنما تكسبها ألمًا لذيذا. ولو أننا أردنا أن نصف جمال شِعر الأديب البائس، لما وصفناه بأبلغ من قولنا الجمال الحزين، أو البهاء العابس"(١).

لقد استطاع العقاد أن يجعل اللغة الشعرية ذات بعد إيحائي، حيث تم شحن الألفاظ بدلالات ومعانٍ جديدة تعبر عن معاناته، من خلال الاستعمال الخاص للكلمة، لتثير أحاسيس ومشاعرَ معينةً.

وهكذا نجد أن لغة العقاد في تشاؤمه تميزت بمناسبتها للموضوع فـ"العبارات تحتال لتكون صورة لموسيقى النفس إلى درجة محمودة"(٢)، فهو يختار ألفاظه بدقة، لتُجلي الموضوع الذي يتحدث عنه، ولذا يبدو التلاؤم بين الألفاظ والمعاني بارزًا في شعره التشاؤمي، حتى إننا نرى روحه من خلال ذلك. فألفاظه تتأثر بالعامل النفسي فتأتي وفق توجهاته وحالاته.

**مصادر ألفاظ التشاؤم:**

تنوعت الألفاظ وتعددت في شعر التشاؤم لدى العقاد، وذلك تبعًا لاختلاف الحقول الدلالية التي استقى منها تلك الألفاظ، فقد استقاها من حقول دلالية مختلفة من أبرزها (الطبيعة والحرب والدين والتاريخ).

**١ – حقل الطبيعة:**

العقاد كغيره من الشعراء الرومانسيين يفزع إلى الطبيعة فيسقط عليها أحاسيسه ومشاعره، فتبدوا كئيبة حزينة. ففي قصيدة الربيع الحزين "تلقى أشجان الشاعر وأحزانه على المشهد الفاتن، مشهد الربيع الضاحك بالنور

---

(١) الموسوي (محسن جاسم)، وخالدي (بثينة)، الأدب العربي الحديث (مختارات) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٠، ص٥٠.

(٢) انظر. الشايب (أحمد)، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص٧٥.

والزهر والطير، فإذا الأرض غير الأرض، وإذا الشدو ما هو شدو، ولا الروض روض، وهل المشهد، أي مشهد، إلا ما تراه العين، وتحسه النفس، فإذا كانت هذه فرحة مطمئنة جميلة كان المشهد ضاحكًا جميلًا، والعكس صحيح أيضًا حتى ولو كان المشهد هو الربيع في إبَّانه، والجمال في عنفوانه. يقول العقاد الحزين القلب، الكئيب النفس"[١]:

عَبَـقُ الرَّبِيـعُ بِنَاجِـمٍ وبِبَاسِـقِ ... أَهْـلًا وَلَا أَهْـلًا بِـذَاكَ العَابِـقِ

قَـدْ كُنْـتُ آنَـسُ بالرَّبِيـعِ إذَا أَتَى ... أُنْـسَ الْمُتَيَّـمِ بِالحَبِيـبِ الطَّـارِقِ

وَتُمَـازِجُ الزَّهْـرَ البَهِيـجَ خَوَاطِرِي ... وتُنَافِـحُ العِطْـرَ الأَرِيجَ خَلَائِقِـي

وَتَكَـادُ تُنْسِيـنِي صَـوَادِحُ أَيْكِـهِ ... عَزْفَ القِيَانِ عَلَى الْجَمَادِ النَّاطِـقِ

فَالْآنَ لَا شَـدْوُ الطُّيُـورِ بِرَائِـعٍ ... سَمْـعِي وَلَا رَوْضُ الرَّبِيـعِ

وكَـأَنَّ نُـوَّارَ الحَـدَائِقِ طَاقَـةٌ ... نَثَـرَتْ عَلَـى قَـبْرِي سُـرُورَ الزَّاهِقِ

وَأَرَى النَّدَى دَمْعًا وكُنْتُ إخَالُـهُ ... دُرًّا يُنَـاطُ بِزَهْـرِهِ المُتَعَانِـقِ

وَيُثِيْرُ شَجْوِي مِنْ عَلِيـلِ نَسِيمِـهِ ... سَقَـمٌ أَرَاهُ اليَـوْمَ غَيْـرَ مُفَارِقِـي

إنِّي لَمِحْـرَابُ الأَسَـى فَهَوَاجِسِي ... تَأْبَى الطُّهُـورَ بَغِيـرِ دَمْـعٍ دَافِـقِ

كَذِبَ الْوُجُودُ نَعِيمُهُ وَشَقَـاؤُهُ ... يا طـولَ شَوقِي للحِمَامِ الصَّـادِقِ[٢]

فالعقاد عندما يحزن يصبغ مصادر الجمال بهذا الشعور فهو "يرى الربيع حزينًا... بما تعكسه نفسه على مظاهر الطبيعة"[٣].

ونجده يؤلف من الليل ومشتقاته ومرادفاته وما يتصل بمعانيه من ألفاظ محورًا هامًا للتعبير عن معاناته:

---

(١) الجعيد (فاطمة عبد الجبار)، الدراسات الأدبية في مصر وأثرها على تجديد الشعر وتوجيهه حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع الأدب، ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج١، ص١٠٦.

(٣) الجعيد (فاطمة عبد الجبار)، الدراسات الأدبية في مصر وأثرها على تجديد الشعر وتوجيهه حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص٢٢٥.

فَيـــَا مـــَنْ يَرَانـــِي والفـُــؤَادُ كأَنَّهُ ذَبِيحٌ تَشَظَّـــى فِي تَرَاقِيـــهِ مُنْصـــُـلُ
وَيـَا مـــَنْ يَرَانـــِي والظَّـــلامُ كَأَنَّهُ إذَا اللَّيـــْلُ أغْضـــَى قَاتـــِلٌ يَتَرَمَّلُ
وَيَا مـــَـــنْ يَرانـِي والنُّجـــُومُ كَأَنَّها نَوَاظِرُ مـــِنْ خـــَوْفِ الغَيَاهِبِ تُقفَلُ
كَأَنَّ الفَضـــَا لمْ يَـرَ الشَّمـــْـسَ مَرَّةً ولمْ يَسْـــرِ فِيـــهِ بـــَدْرُه المتَهـــَلِّلُ
أَبِيـــتُ وبِي لَيْـلَانِ لَيـــْلٌ صَبَاحُـهُ يُرَجَّى وَلَيْـلٌ مُدْبـــِرُ الصُّبـْـحِ مُقْبِلُ
إذَا أدْبـــَرَ اللَّيـــْلُ اسْتَرَحـــْتُ وإنَّما يَلُـــوكُ لَبـــِي اللَّيْلِ الَّـذِي هُوَ أَطْوَلُ
عَفَاءً عَلَى الْأَضْوَاءِ مَاذَا انْتِسَاخُهَا الـ ـلَّيَالِي ولَيلِي آخِـــرُ الدَّهْـــرِ مُسْبِلُ
فَيَا شُـهُبُ خُطِّي بالرُّجُومِ عَلَى الدُّجَى وَيَا صُـــبْحُ فَاسْـــمَعْنِي وَيَا نَاسُ فَانْقُلُوا
ضَؤُلْـتِ سِـــرَاجًا يَا شُمُوسُ إذا خَبَا سِرَاجِـــي وليلٌ قاتـــِمُ الجُنـْحِ أَلْيَلُ[1]

فالليل في الأبيات السابقة لفظة محورية تدور حولها عبارات الشاعر وصوره، وتتفرع عنها طائفة من الألفاظ تعبر عن معاني الظلمة ومظاهرها، فقد تكررت لفظة الليل عشر مرات، تسع منها في الأبيات الثلاثة الأخيرة، كما وردت ألفاظ تدل على الظلمة كـ: (الظلام، والغياهب، والدجى، وخبا، وقاتم) وجاءت ألفاظ تتعلق بالليل مثل: (النجوم، وبدره، والشهب، والرجوم، وسراج، ولم ير، الشمس، ومدبر الصبح)، وهذه الألفاظ تضافرت على الإيحاء بنفس معذبة وفؤاد مضطرب.

فالإلحاح على الليل مرة بعد أخرى، والحديث عنه بهذه الصورة، يدل على أن الأسى قد غمر قلب الشاعر كله، ولذا فهو يريد أن يغمر الكون بأسره، فلا يبقى الأسى في داخله.

لقد جعل العقاد من هذه الألفاظ رموزًا مليئة بالدلالات والإيحاءات، فتحولت بذلك من قالب ووسيلة إلى معادل للشعور والأفكار.

فالليل كما هو واضح في منظور العقاد يرتبط بالحزن والهم والكآبة، وكل ما يجر الشؤم والتعاسة، فهو لحظات تثير كوامن النفس وأشجانها.

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج١ ص١١٠، ١١١.

**٢ – حقل الحرب:**

دخل العقاد مع الزمن في صراع عنيف فأثر ذلك الصراع في معجمه الشعري، فوجدناه يستقي بعضًا من ألفاظه من بيئة الحرب، فنرى الأيام عنده وقد غدت أعداءً، تسير الجيوش، فتغنم أيام عمره، وهو الأعزل المتربص به يقول:

وَتَـاللهِ مَـا الْأَيَّـامُ إِلَّا عِـدَاتُـنَـا ... تُـدِيرُ عَلَينَـا جَحْفَلًا بَعْـدَ جَحْفَـلِ

تُوَلِّي بِأَجْـــزَاءِ الحَيـــاةِ غَنِيمَـةً ... وتُقْبِـــلُ إِقْبَـالَ الكَمِيِّ لِأَعـــْزَلِ[١]

ونتيجة للحرب مع الأيام، وما تسيره عليه من جحافل يقع في الأسر ولا يستطيع الفكاك منه، لذا نراه مكبلًا بالقيود الثقيلة:

أُسَارَى بِلَا أَجْـرٍ نَـــرُوحُ ونَغْتَدِي ... وَرُبَّ أَسِيرٍ يُفتَدَى وَلَهُ غُنْمُ

نَثُورُ عَلَـــى الدُّنْيَـا فتُثْقِـلَ قَيْـدَنَا ... فَيَا لَيْتَـهُ قَيْدٌ يُنَفِّسُـهُ الْحُطَمُ[٢]

فألفاظ (أعداء، وجحفل، وغنيمة، وإقبال، والكمي، والأعزل، وأسير، ويفتدى، وقيد) كلها ألفاظ تنتمي إلى حقل الحرب.

ويأخذنا العقاد إلى وسط معركة محتدمة تلاحمت جيوشها وثار غبارها، فإذا بالرهبة تتسلل إلى القلوب من هول مشهدها، بل إن الوحش يولي هاربًا من شدة الفزع يقول:

إِذَا مَـا رَآهَـا الوَحشُ وَلَّى كَـأَنَّهَـا ... مِنَ النَّقْعِ تُجْلَى عَنْ خَمِيسٍ عَرَمْرَمِ[٣]

ويخوض العقاد مع أحزانه معركة شرسة، فيخسر في صراعه، ويكون قلبه ضحية لتلك المعركة فقد أثخن بالجراح القاتلة، بسبب الطعنات القوية التي أدت إلى تكسر النصال، وقد استطاع العقاد أن يشرك المتلقي في أحزانه، وذلك من خلال الألفاظ التي عبر بها عمَّا أصابه فـ (الطعن، والقتل، والجريح،

---

(١) السابق، ج ٢، ص١٩٠.

(٢) السابق، ج ٢، ص٢٥٣.

(٣) السابق، ج ١، ص٨٨.

والنصل) كلها ألفاظ تنطلق من ميدان المعركة، وتوحي باحتدام الأحزان في فؤاد العقاد احتدامًا يوشك أن يجهز عليه:

طَـاوٍ عَلَى طَعَنَـاتٍ فِيـكَ قَـاتِلَـةٍ مَشْـيَ الْجَرِيحِ بِنَصْـلٍ فِيهِ مُنْكَسِـرِ[١]

**٣ – حقل الدِّين:**

واستقى العقاد ألفاظه –أيضًا– من الحقل الديني، ففي قصيدته (عيد ميلاد في الجحيم) –والتي يقارن فيها بين الحياة في الجحيم وبين الحياة الدنيا– نراه يعتمد على توظيف اللفظ الديني بداية من العنوان، ويورد اللفظ ذاته في ثنايا الأبيات، ويذكر لفظ النار، والويلات، والعلاقم، وهذه الألفاظ وردت في الحقل الديني سواء في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

أَهْوِن بِصَـابٍ فِي الْجَحِيـمِ أَذُوقُـهُ قَدْ كَـانَ ثَمَّـةَ كُـلُّ شَـيْءٍ صَـابَا

يَا صَحْـبُ حَيـُّوا النَّـارَ فِي وَاحْثُـوا عَلَـى ذَاكَ الـتُّرَابِ تُرَابَا

يا صَحْبُ هَاتُوا مِـنْ عَـلَاقِمِها لَنَا وَادْعُـوا الأَحِبَّـةَ واشْرَبُـوا الْأَنْخَابَا[٢]

**ويقولُ:**

إنَّ هَذَا الصَّـيْفَ مِنْ قَاعِ جَهَنَّمْ إنَّ هَذَا الصَّـيفَ شَـيْطَانٌ تَحَكَّمْ[٣]

**٤ – حقل التاريخ:**

استطاع الشاعر من خلال ثقافته الواسعة واطلاعه العميق أن يضيف إلى معجمه الشعري، فنراه يستثمر ثقافته التاريخية فيوظف بعض الوقائع والقصص التي حدثت عبر التاريخ، ويستحضر شخصيات لها وزنها وقيمتها التاريخية، ومن ذلك قوله: "كان لخمارويه بن أحمد بن طولون أسد عوده أن يجلس بين يديه إذا أكل، وأن يسهر عليه إذا نام، وقد سافر مرة وتركه بمصر فقتل في دمشق، فأعجب لرجلٍ حرسته السباع واغتالته الناس!"[٤]:

---

(١) السابق، ج ٢، ص٢١٢.

(٢) السابق، ج ٥، ص٤١٩، ٤٢٠.

(٣) السابق، ج ٩، ص٧٩٥.

(٤) السابق، ج ١، ص ٦٤.

رَكَنْتَ إِلَى السِّبَاعِ خِمَارَوَيْهِ ... وَلَمْ تَرْكَنْ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهَا
تَحُوطُكَ نَائِمًا وَتَبِيتُ تَخْشَى ... قُلُوبَ النَّاسِ أَنْ يَطْغَى أَذَاهَا
أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ لَيْثًا ... يَذُودُ رَعِيَّةً عَمَّنْ رَعَاهَا
وَأَنْ يَحْمِي ابْنَ آدَمَ مِنْ أَخِيهِ ... سِبَاعٌ جَلَّ أَنْ يُدْعَى أَخَاهَا
وَثِقْتُ بِذِي حِفَاظٍ لَيْسَ يُرْشَى ... وَلَا يَنْسَى الْحُقُوقَ لِمَنْ حَبَاهَا
وهُمْ قَتَلُوكَ حِينَ وَثِقْتَ مِنْهُمْ ... وَكَمْ حَفِظَ الْعُهُودَ فَمَا اعْتَدَاهَا
وَلَوْ شَهِدَ اغْتِيَالَكَ فِي دِمِشْقَ ... لَضَرَّجَ بِالْجِنَايَةِ مَنْ جَنَاهَا[1]

ونجده يتوجه إلى رمسيس الثاني متسائلًا "هل يقبل فرعون مصر أن يقيم بميدان رمسيس ويشهد في كل لحظة ما يبعث ثورة الشاعر وغضبه"؟[2]

رَمْسِيسُ هَلْ تَرَضَى مُقَامَكَ بَيْنَهُمْ ... لَوْ تَسْتَقِلُّ بِنَهْضِكَ الأَعْضَاءُ؟
عَيْنَاكَ لَوْ رَأَتَا الضُّحَى أَعْمَاهُمَا ... مِنْ أَرْضِ مَصْرَ وَقَوْمِهَا أَقْذَاءُ
شَعْبٌ يَعَافُ النَّابِهُونَ جِوارَهُ ... وَلَوَ انَّهُمْ حَجَرٌ عَلَيهِ عَفَاءُ[3]

ويستدعي شخصية أبي العلاء المعري الشاعر العباسي المعروف، ويقيم حوارًا بينه وبين ابنه يصور فيه تشاؤمه من الحياة، ومما قال في (المعري وابنه):

وَلَدِي! إِنَّنِي أَبُوكَ الرَّحِيمُ ... أَنَا بِالْعَيْشِ يَا بُنَيَّ عَلِيمُ
لَا تُصَدِّقْ مَقَالَةً مِنْ بَعِيدِ
إِنَّ غُنْمَ الحَيَاةِ مَنْ لَمْ يَجِدْهُ ... لَمْ يُمَتَّعْ بِهِ، ولَمْ يَفْتَقِدْهُ
فَاغْتَنِمْ رِبْحَ شَرِّهَا المفْقُودِ
وَشَرُّهَا يَا بُنَيَّ شَرٌّ ثَقِيلُ ... خَيْرُهَا يَا بُنَيَّ خَيرٌ قَلِيلُ
أَهْلُهَا يَا بُنيَّ أَهْلٌ حَقُودُ[4]

(١) السابق، ج ١، ص٦٤.
(٢) العمري (زينب عبد العزيز)، شعر العقاد، ص٢٤٢.
(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج ٢، ص٢٢٥.
(٤) السابق، ج٢، ص٢١٧، ٢١٨.

**المبحث الثالث: الصورة:**

قال صاحب لسان العرب "صوره الله صورة حسنة فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير التماثيل، قال ابن الأثير الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وعلى معنى صفته"(١). وأتت الصورة في المعجم الوسيط بمعنى "الشكل، والتمثال المجسم، وفي التنزيل العزيز ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٧-٨]. وصورة المسألة أو الأمر صفتها، والنوع. يقال: هذا الأمر على ثلاث صور. وصورة الشيء: ماهيته المجردة وخياله في الذهن أو العقل"(٢).

والصورة تشكل خاصية جوهرية من الخصائص التي ينهض عليها الشعر، فهي من أهم الأدوات التي يعتمد عليها الشاعر في نتاجه الشعري، ويشكل من خلالها أفكاره ومشاعره، فلها دور كبير وفعال. يجعلها بمثابة قطب الرحى في العملية الإبداعية إذ "تتفرد بإعطاء المتعة الجمالية التي بدونها لا يصبح الشعر شعرًا"(٣)، فالصورة تعد "الجوهر الثابت والدائم في الشعر، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته، فتتغير – بالتالي- مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها، ولكن الاهتمام بها يظل قائمًا ما دام هناك شعراء يبدعون، ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه، وإدراكه، والحكم عليه"(٤).

---

(١) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) لسان العرب، ج٦ ص١٤٤.

(٢) المعجم الوسيط، ج١، ص٥٢٨.

(٣) أحمد (مجدي عبد المعروف حسين)، الصورة الفنية بين نسقية الرؤية وجدلية المصطلح، مجلة العلوم والتقانة . جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلد ١٢ (٢) للعام ٢٠١١م نوفمبر ٢٠١٢، ص٦٥.

(٤) عصفور (جابر)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي . بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ص٧،٨.

وللصورة دور فاعل في الإقناع بتجربة المبدع "فقوة الشعر تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور، لا في التصريح بالأفكار مجردة ولا في المبالغة في وصفها"(١).

وقد حظيت الصورة باهتمام بالغ من قبل نقاد الأدب ودارسيه قديمًا وحديثًا. فـ "هي وحدها التي حظيت بمنزلة أسمى من أن تتطلع إلى مراقيها الشامخة باقي الأدوات التعبيرية الأخرى، والعجيب أن يكون هذا موضع إجماع بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات ولغات مختلفة. ولهذا أمكن القول: إن الصورة الشعرية كيان يتعالى على التاريخ"(٢).

وممن تحدث عن الصورة من نقادنا القدماء الجاحظ إذ يقول: "إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"(٣)، وكذلك عبد القاهر الجرجاني الذي يقول: "واعلم أن قولنا (الصورة)، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"(٤).

ومصطلح الصورة من المصطلحات التي تطور مفهومها، وتعددت دلالاتها تبعًا لتطور البشر وترقيهم في حيواتهم فـ "قد تعرض منذ أرسطو إلى

(١) هلال (محمد غنيمي)، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، نهضة مصر، بدون، ص٦٠.

(٢) محمد (الولي)، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١،١٩٩٠م، ص٧.

(٣) الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م، ج٣، ص١٣٢.

(٤) الجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، بدون، ص ٥٠٨.

اليوم لاستعمالات متعددة"[١]؛ ولذا تعددت تعاريف النقاد والدارسين للصورة الشعرية، تبعًا لاختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم الأدبية.

وإذا كان القدماء ينظرون إلى الصورة بوصفها عاملًا أساسيًا في العملية الإبداعية، فإن تلك النظرة قد تطورت في العصر الحديث، فصار يُنظر إليها بوصفها جوهر القصيدة، الذي يعين الشاعر على نقل فكرته وعاطفته إلى قرائه أو سامعيه، ولذا دعا بعض النقاد إلى ضرورة ربط الصورة الحسية بالنفس، بحيث يكون "وراء التشابه الحسي رصيد شعوري أو نفسي... ويعتبر العقاد أشد هؤلاء الرواد اهتمامًا بهذه القضية، وتأثيرًا في هذا المجال، حيث ألح على ضرورة تعبير الصورة الشعرية عن حقيقة نفسية أو شعورية وعدم اقتصارها على تسجيل التشابه الحسي"[٢]، وفي ذلك يقول: "فأعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها... وليس هم الناس من القصيد أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع وإنما همهم أن يتعاطفوا ويودع أحسهم وأطبعهم في نفس إخوانه زبدة ما رآه وسمعه، وخلاصة ما استطابه وكرهه... فالتشبيه أن تطبع في وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع في ذات نفسك... وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه"[٣].

ويؤكد العقاد ما ذهب إليه من أهمية ربط الحس بالنفس، فيجعل ذلك معيارًا نقديًا صارمًا، حيث يقول: "وصفوة القول إن المحك الذي لا يخطئ في نقد الشعر هو إرجاعه إلى مصدره. فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من

---

(١) محمد (الولي)، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ص١٥.

(٢) زايد (علي عشري)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء . القاهرة، ط٤، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ص٧٢، ٧٣.

(٣) العقاد (عباس محمود)، والمازني (إبراهيم عبد القادر)، الديوان في الأدب والنقد، ص٢٠، ٢١.

الحواس فذلك شعر القشور والطلاء، وإن كنت تلمح وراء الحواس شعورًا حيًا ووجدانًا تعود إليه المحسوسات كما تعود الأغذية إلى الدم ونفحات الزهر إلى عنصر العطر فذلك شعر الطبع القوي والحقيقة الجوهرية"(١).

وقد اهتم العقاد في شعره ذي الصبغة التشاؤمية بتوظيف الصورة بوصفها "الوسيلة الفنيَّة لنقل التجربة... فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية"(٢)، وهو في توظيفه لها يربط الحس بالنفس، فهو يجانب الوصف المحسوس الذي لا فائدة فيه، و"ينظر إليه بالروح والوجدان وكل الحواس"(٣)، فعاطفته هي التي تشكل صوره، لذا أتت صوره ملتصقة برؤيته الداخلية، منسجمة مع ذاته، معبرة أدق تعبير عما يجول في فكره ويتلجلج في نفسه من الخواطر والمشاعر. فهي بمثابة ترجمان لعواطفه وأحاسيسه الباطنة.

فالعقاد يطرق الموضوعات الحسية، ولكن على طريقته "تلك الطريقة التي يغلب أن تتخذ من البصر طريقًا إلى البصيرة، ومن الحس سبيلًا إلى المعنى، ومن المحدود مَعْبرًا إلى ما يجد. فهو يتناول الموضوع الحسي لا ليصفه من الخارج، متحدثًا عن حجمه ولونه، ذاكرًا ما يشبهه من الأشياء أو مالا يشبهه، وإنما يتناول المحسوس لينتقل منه إلى نفسه، ويصور ما يثيره فيها هذا المحسوس العابر من خوالد المعاني"(٤).

---

(١) السابق، ص٢١.

(٢) هلال (محمد غنيمي) النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر . القاهرة، بدون، ١٩٩٧، ص٤١٧.

(٣) بو لنوار (علي) دلائلية النبض في القصيدة الشعبية، مجلة المخبر . أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ص٢٥٦.

(٤) هيكل (أحمد)، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص١٦٠.

وقد استمد العقاد ـ في الغالب ـ صور الشعرية من الطبيعة "بكل ما تنطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر "[١]، حيث شكلت مصدرًا ثريًا، ينهل منه صوره، "ولكنه لا ينقلها إلينا في تكوينها وعلاقاتها الموضوعية، إنه يدخل معها في جدل، فيرى منها، أو تريه من نفسها جانبًا، يتوحد معه بإدراك حقيقة كونية وشخصية معًا... وفي أي صورة جيدة سنجد دائمًا قطعة من الطبيعة، هي بديل للموضوعية المطلقة بالنسبة للجانب الحسي"[٢]، فهو يلوذ بالطبيعة ويمتزج بها، ويربط بينها وبين حالاته الوجدانية ويخضعها لحركة نفسه وتموجاتها، فإذا هي تحمل أشجانه وتُصبغ بأحزانه. فتعبر عما يخالج نفسه المشحونة بإحساس الحزن والأسى.

ومن خلال تتبع شعر العقاد التشاؤمي يتضح أنه قد اعتمد في تصويره على التشبيه والاستعارة. فهما أبرز وسائل تشكيل الصورة عنده.

**أولًا: التشبيه.**

التشبيه لغة، التمثيل[٣]، وفي الاصطلاح: أسلوب "من أساليب البيان، لعقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قُصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة تشبيه، لغرضٍ يقصدُهُ المتكلم"[٤].

وقد استثمر العقاد التشبيه كأداة مهمة، معتمدًا في بناء تشبيهاته – بشكل كبير – على الطبيعة بعناصرها المختلفة الحية والجامدة.

فنراه يشبه أوجه الناس في عصره بأوجه القرود، مبينًا السبب الذي دعاه إلى اختيار المشبه به، فالوجوه متجهمة كالحة:

---

(١) عبد الله (محمد حسن)، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص٣٣.

(٢) السابق، ص٣٣.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٤٧١.

(٤) التويجي (محمد)، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، ص٢٤٨.

أنَا فِي هَـــذِهِ الدُّنْيَا مُقِيـــمٌ  لَا أَرَى غَيْـــرَ أَوْجُـــهٍ كَالقُرُودِ
أوجُـهٍ جَهْمَـةِ الْـمَعَـارِفِ عُوجٍ  كَـالِحَـاتِ الأَدِيمِ والبَشَـرِ سُـودِ[1]

ويشبه مرور السحاب بشكل سريع في أسوان بمرور مخلوق مجبر، مضطر للسير الحثيث:

أُقَلِّـبُ وَجْهِـي ومَـاذَا يَعِـي  بِأَسْـوانَ أَوْ يَنْظُـرُ النَّاظِـرُ
بِـأَرْضٍ إِذَا مَا عَلَاهَا السَّـحَابُ  مَـرَّ كَمَـنْ خَلْفَـهُ نَاهِـرُ[2]

وتأتي له فتاة بوردة فيشبه لون خدها بلون الوردة، ويشبه ندى الطل على الوردة بدموع تسكب لفراق حبيب:

أَتَتْنِي بِهَا مَنْ خَدُّهَا مِثْلُ لَوْنِهَا  مُبَلَّلَـةَ الْأَوْرَاقِ بَاكِيَـةَ السِّنِّ
كَـأَنَّ نَدَى الطَّـلِّ دَمْـعٌ أَطَلَّهُ  فِرَاقُ وُرَيْدَاتٍ صِـغَارٍ عَلَى الْغُصْـنِ[3]

أما الخطوب المتعددة التي تطرقه بالليالي فهي أشبه بقطيع من السباع تحاصر فرائسها، وتحدق بها من كل جانب، فيجعلنا نعيش مع ذلك المنظر:

أَتَعْلَـمُ أَيُّهَـا اللَّيْـلُ العَصِيبُ  بِمَا حَـوَتِ الْجَوَانِـحُ والْجُنُوبُ
لَئِنْ هَجَعَـتْ بِسَـاحَتِكَ الْمَآقِي  لَمَـا هَجَعَـتْ بِسَـاحَتِكَ الْخُطُوبُ
كَـأَنَّ جُمُوعَهُـنَّ سِبَـاعُ لَيْـلٍ  تَبِيـتُ عَلَـى فَرَائِسِهَـا تَلُوبُ[4]

وقد استطاع العقاد بهذا التشبيه أن يأخذنا إلى ذلك المشهد، لنعيش لحظاته ونرقبه بقلوب مشفقة خافقة، تترقب انقضاض تلك السباع المفترسة على تلك الطرائد المحاط بها.

ويعبر عن قسوة الحياة عليه، ومعاناته معها، حيث أحالت حياته إلى ظلمة لا نور فيها، فإذا الصبح كالليل المظلم:

---

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج٢، ص١٣٥.
(٢) السابق، ج٢، ص١٤٧.
(٣) السابق، ج٢، ص١٤٥.
(٤) السابق، ج٣، ص٣٠٥.

لَنَـا صُـــبْحٌ كَجُنْحِ اللَّيْـلِ داجٍ[١] وَلَـيْـلٌ لَا يُـفَـارِقُــهُ الـلُّــغُـوبُ[٢]

ويثير العقاد الحزن في نفوسنا، فيجعلنا نشاركه ما يختلج في فؤاده عندما يشبه الزهر باليتيم الذي يستثير أشجانًا كل ما نظرنا إليه:

وإِذَا الزَّهْـــــــرُ كَاليَتِيـــــــمِ إِذَا رَاقَ فِي الْعَيْنِ حُسْـــنُــهُ جَرَحَــا[٣]

ويبين العقاد من خلال التشبيه أنه ذو طبع أصيل، وذو نفس طيبة أصيلة، ولكن ربما يتغير ذلك الطبع، وتتجهم تلك النفس فتغدوا كالجبل الصعب، وذلك بسبب أفعال الناس التي أثرت سلبًا عليه. ولكن من يفتش عن حقيقتها فسيجد نفسًا نقية كأنها الماء الجاري العذب:

إِذَا اسْتَصْعَبَتْ نَفْسِي وَضَاقَتْ فِجَاجُهَا وَلَاحَـــــتْ لِمَـــرْأَى الْعَـيْنِ كَالجَبَلِ الوَعْرِ

فَتِلْـكَ ظِـلَالُ النـَّاسِ فِيهَــا وَدُونَهَــا طَبَائِـــــعُ كَالْمَـــــــاءِ النَّمَـــــــيرِ إِذَا

ورغم ما أحدق به من المصائب ونزل به من الخطوب إلا أن له نفسًا ثائرة ترفض الاستسلام، فتحاول المقاومة مرة بعد أخرى، حالها كحال الأسد الذي لا يقبل الأسر:

أَهَابَـتْ بِنَفْسِـي وَثْبَـةٌ بَعْـــدَ وَثْبَـةٍ كَمَـا نَهَضَ الرِّئْبَـالُ لَمْ يَرْأَمْ الْأَسْـــرَا[٥]

وتعصف الريح بعناصر الطبيعة، فيثير ذلك العقاد، فيصوره لنا بتشبيهات متلاحقة تنم عما يختلج في ظلمة نفسه، فيغدو السحاب كأسراب الطير المهاجرة، فتارة يجتمع وأخرى يفترق، والأشجار متهدلة متعبة، فيذكره ذلك بلحظات الوداع بين العاشقين "والشمس التي تقف وسطًا بين الإشراق والاختفاء وراء السحاب، فهي ساهية باهتة، لا باردة ولا حامية كالعين المغرورقة

(١) داجٍ: الدُجَّةُ: شِدَّةُ الظُلمة. الصحاح، ج١، ص٣١٢.

(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج٣، ص٣٠٦. واللُّغُوب: التعب والإعياء. الصحاح، ج١، ص٢٢٠.

(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج٤، ص٣٣١.

(٤) السابق، ج٣، ص٢٩٢.

(٥) السابق، ج٥، ص٣٩٥.

بالدموع، صور تختلف عن صورة الربيع الفياض بالحيوية والجمال، كما تختلف الحيوية والجمال بين غريرة تجد متعتها في أحضان خليع وبين امرأة أخذ جمالها في الذبول"[١]:

حَيِّ الْغَمَائِـــمَ فِي السَّمَـــاءِ كَأَنَّهَا ... طَـــيْرٌ سَـــرَتْ فِي مُسْتَهَـلِّ رَبِيـــعِ
طَـــوْرًا كَتَمْسِيحِ الذُّيُـــولِ وتَـــارَةً ... كَالرَّغْـــوِ بَـــيْنَ مُفَـــرَّقٍ وَجَمِيـــعِ
وَالدَّوْحُ مَهْدُولُ الْأَرَائِـــــكِ سَاهِمٌ ... كَالعَاشِقَـــيْنِ هُنَيـــْهَـةَ التَّوْدِيـــــعِ
والشَّـــمْسُ سَـــاهِيةُ الشُّـــعَاعِ كَمُقْلَةٍ ... وَطْفَاءَ جَلَّلَهَا الْبُكَـــى بِدِمـــــُوعِ
ضِحْـــكُ الطَّبِيعَةِ فِي الرَّبِيـــعِ كَأَنَّهُ ... ضِحْكُ الغَرِيرَةِ فِي عِنَاقٍ خَلِيـــــعِ
فَـــإِذَا تَبَسَّـــمَ فِي الْخَرِيفِ جَبِينُهَـــا ... أَبْصَـــرْتَ نِظْـــرَةَ رِيبَـةٍ وَخُشُـــوعِ
كَالغَادَةِ الْحَسْـــنَاءِ يَغْرُبُ حُسْـــنُهَا ... أَثْنَاءَ شَيْـبٍ فِي الشَّبَابِ سَرِيـــــعِ[٢]

لقد استطاع العقاد من خلال التشبيهات المتتابعة في هذه الأبيات أن ينقل إلينا إحساسه بفصل الخريف، فهو ينظر إلى الطبيعة من خلال وجدانه الحزين، فيخلع عليها إحساسه النفسي ويلبسها إياه.

وعن طريق التشبيهات المتوالية يرسم العقاد لوحة لنفسه المضطربة من خلال تصويره لقدوم الشتاء، فيجعلنا نعايش معه لحظات مكتنزة بالرعب، نرتجف فيها فرقًا، كيف لا والزهر أشبه بالمحتضر، والضحى كالغروب، والرياح تذكرنا بالأمواج العاتية، فهي تحطم الأشجار وتعبث بها كما يفعل المجنون المذعور:

وَلِلـــرَّوْضِ زَهْـــرٌ بـــهِ طَائِـــحٌ ... تَقَلَّـــبَ فِـي الأَرْضِ كَـالمحتَضَـــرْ
أَلَا مَـــــا لِهَذَا الضُّحَى كَاسِفًا[٣] ... كَـــأَنَّ الْأَصِيـــلَ عَلَيْـــهِ انْتَشَرْ

(١) الشريف (إبراهيم أحمد)، المدخل إلى شعر العقاد، ص١٩٨.
(٢) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج١، ص٥٣.
(٣) كَاسِف: ذهب ضوءه واسوَدَّ. لسان العرب، ج٩، ص٢٩٨.

ومَا لِلرِّيَـــاحِ بأَعْلَـــى الشَّجَـرِ تَعُـــجُّ كَمَـــوْجٍ خِضَـــمٍّ[١] زَخَرْ[٢]

تُحـطِّـــمُ أَعْـوَادَهـــا العـَـارِيَـــا تِ تَحْطِيـــــــــمَ ذِي جِنَّةٍ مُنْذَعِرْ[٣]

ونلاحظ أنه اعتمد في تشبيهاته على ألفاظ مفردة لها دلالاتها الوجدانية، ثم يزيد من دلالات تلك الألفاظ الوجدانية بوصفها بما يناسبها من الصفات. فجاءت تشبيهاته متسقة مع تجربته، مبرزة الجانب الشعوري المختزن في نفسه.

**ثانيًا: الاستعارة.**

الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني هي: "أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اخْتُص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارية"[٤]، أما عند صاحب المعجم المفصل في الأدب فهي: "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي"[٥].

وللاستعارة دور فاعل في الإبداع الشعري، إذ تعد "من أبرز الوسائل الفنية في نقل فكرة الشاعر وعاطفته معا، وهي من الأدوات الأساسية التي تؤدي غرض الشاعر في تجسيد الأبعاد المختلفة لرؤيته الشعرية، فتقترب تلك الأبعاد من الإدراك الحسي. وتكمن روعة الاستعارة في قوة الخيال المبدع

---

(١) خِضَـمّ: الجمع الكثير. الصحاح، ج٥، ص١٩١٣.

(٢) زُخَر: امْتَدَّ جِدًّا وارتَفَعَ. يقال: بَحْرٌ زَاخِرٌ. الصحاح، ج٢، ص٦٦٩.

(٣) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج١، ص١٣٨.

(٤) الجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد) أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني. جدة، بدون، ص٣٠.

(٥) التويجي (محمد)، المعجم المفصل في الأدب، ص٨٧.

التي تتشكل منه، فهو يقوم بدور جوهري في تشكيلها وفق رؤية الشاعر ووثباته العقلية. ويلتقط الشاعر العناصر الحسية من الواقع المادي ليعيد تكوينها ثانية، ويقيم علاقات جديدة تصبح صورة لعالمه الخاص بكل ما فيه من مكونات شعورية ونفسية وفكرية"(١).

وقد وردت الاستعارة في شعر العقاد ذي الصبغة التشاؤمية بصورة تفوق باقي الصور الأخرى، فهو يستعين بها في إثبات مراده، وتفريغ انفعالاته، معتمدًا في تشكيل صوره على عنصري التشخيص والتجسيد:

**١- التشخيص:**

يُعرَّف التشخيص بأنه "وسيلة فنية قديمة، عرفها شعرنا العربي، والشعر العالمي، منذ أقدم عصوره. وهذه الوسيلة تقوم على أساس تشخيص المعاني المجردة، ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة"(٢).

وقد استطاع العقاد من خلال التشخيص أن يخاطب المشاعر، وأن يثير الوجدان، من خلال بث المشاهد الحية التي يراها القارئ ماثلة أمام عينيه، فيحس وقعها في نفسه، وتتجاذب لها عواطفه. فهي حركة تشف عن الواقع النفسي وتكشف أغواره؛ لأنها مماثلة لحركة النفس وتموجاتها، متسقة مع مشاعرها، منطلقة من رؤيتها. فمعاناته الداخلية تعينه على تشخيص صوره الشعرية، وبث الحركة والحيوية فيها. ولذا غدا التشخيص ركيزة أساسية، ووسيلة مهمة من وسائل الصورة في شعر العقاد المصبوغ بالنظرة التشاؤمية. يقول مشخصًا الطبيعة في فصل الخريف:

---

(١) الريمي (رحمة مهدي علي)، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المنورة المعاصرين، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، ص١٩٥.

(٢) زايد (علي عشري)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص٧٦.

ضِـحْكُ الطَّبِيعَةِ فِي الرَّبِيـــعِ كَأَنَّهُ ضِـــحْـكُ الغَرِيرَةِ فِي عِنَـاقٍ خَلِيعِ
فَإِذَا تَبَسَّمَ فِي الْخَرِيـــــفِ جَبِينُهَا أَبْصَـــرْتَ نِظـْـرَةَ رِيبَـةٍ وخُشُـوعِ[١]

فالطبيعة تتمتع بالحيوية وتزخر بالحركة من خلال إضفاء الصفات الإنسانية عليها، فتغدو ذات مشاعر تبرزها لنا من خلال أفعالها وحركاتها، فهي تضحك ضحكًا من نوع خاص، وهو ضحك الفتاة الغريرة التي تعانق الخليع، ولها جبين تظهر عليه علامات التبسم، ولكنه تبسم فيه ريبة.

ويعجب العقاد بمنظر الرياض فيناديه متعجبًا من جماله، جاعلًا الربيع فيه يظهر متجملًا، وهو منظر تنكره عيون الشتاء، التي لا تعرف المناظر الحسنة:

فَيـَا مَنَظـَـرًا مُونِقـًا لِلرِّيـَاضِ تَأَنـَّقَ فِيـــهِ الرَّبِيـــعُ العَطِـرْ
لَقـَـدْ أَنْكَرَتـْكَ عُيـــونُ الشِّتـَـاءِ ويَا حُسْـــنَ مَا أَنْكَرَتْ مِنْ صُـــوَرْ[٢]

والعيون تغدو أيضًا إنسانًا ينام ويتألم، فإذا أرخى الليل سدوله هجمت عليها الأحزان، فأثارت الأشجان، وحركت المآقيَ الآلالمُ، فارتفع البكاء حتى سمع النشيج:

تَنـَـامُ العُيـــونُ ويَعْلـُـو لهـَا نَشِـــيجٌ إذَا اللَّيْـلُ أَغْضَـــى ظُهْرَا[٣]

ويرى العقاد الناس يتثاقلون عن الحق في حين أنهم يسارعون في أمور السوء والشر، فيرسم لذلك صورة حية فيها حركة متضادة، فالحق في صورة كائن ثقيل الخطى، بينما الإفك حثيث السير يسابق الزمن:

أمـَـا عَلِمـْـتَ بَأَنَّ النـَـاسَ أَلْسِنَةٌ سُـــودٌ لَها غـَـــيْرُ مَا تُبْدِيـــــهِ إِبْطَانُ
أَحْرَى مَزَاعِمَهُمْ بِالشَّـــكِّ أَسِـــيرُهَا فَالْحَـــقُّ مُتَّئِـــدٌ وَالإِفـْـــكُ عَجْلَانُ[٤]

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج١، ص٥٣.
(٢) السابق، ج١، ص١٣٨.
(٣) السابق، ج١، ص١٣٨.
(٤) السابق، ج١، ص٧٤.

ويخيب أمل العقاد فيما يرجيه، فيشعر بالحزن يهجم على قلبه، فينادي قلبه مهيبًا به أن يصبر، مذكرًا إياه بأن ذلك الخطب لم يكن الأول فقد سبقته خطوب، هذه الخطوب من كثرة نزولها به غدت صديقة له تعتاد زيارته حينًا بعد حين، فيكرم ضيافتها بأغلى ما يملك، حتى استنفدت مدامعه التي كان يجود بها لضيافتها.

والعقاد من خلال مناداته لقلبه، وتعايشه مع الخطوب ومصادقته لها، ينجح في لفت أنظارنا إليه، واستثارة عواطفنا تجاهه، وهو يجود بكل ما يملك لإكرام هذا الصديق الطامع الجشع. ويعلن إفلاسه حيل لم يبق له ما يقدمه للضيافة سوى حياته التي أعلن أنه مستعد للتضحية بها، لاسيما وقد رخصت، حيث أفقدتها مصائب الدهر قيمتها:

يَا قَلْبُ صَــبْرًا أَجَدَّ الْخَطْبُ أَمْ هَزَلَا ... مَــا تِلْكَ أَوَّلُ بُؤْسَــى خَيَّبَتْ أَمَــلَا
حَسْبُ الرَّزِيئَــةِ مِنَّــا أَنْ نُصَافِحَهَا ... هُنَيْهَــةً، ثُــمَّ نَلْهُــو بَعْدَهَــا جَــذَلَا
قَدْ طَالمَا نَزَلَتْ ضَيْفًــا بِسَاحَتِنَــا ... والضَّــيْفُ لَيْسَ يُصِــيبُ الدَّهرَ مُحْتَفِلَا
إنَّا قَرِينَــا الرَّزَايَــا مِــنْ مَدَامِعِنَــا ... وقَــدْ نَضَبْــنَ، فَمَاذَا تَشْتَهِــي بَــدَلَا؟
إلَّا الْحَيَــاةَ! وإنِّي لَا أَضِــنُّ بِهَــا ... وَكَــيْفَ ضَــنِّي بِشَــيْءٍ هَــانَ

ويشخص العقاد الآمال فإذا هي نساء، يضحكن له لاستدراجه، ويمكرن به لإيقاعه في حبهن، حتى يتمكنَّ من اللعب به بشكل يخجله أمام نفسه وأمام الآخرين:

مَا لِلأَمَــانِي يَسْتَضْحِكْــنَ لِي غُــرَرًا ... وَقَــدْ سَلَــوتُ وَيَسْتَحْدِثْــنَ لِي غَــزَلًا
كَالغِيدِ يَضْــحَكْنَ مِنْ ذِي كَبْرَةٍ هَرِمٍ ... بِالدَّاءِ عَنْ ضَــحِكَاتِ الغِيْدِ قَدْ شُــغِلَا
يُوسِعْنَــهُ رَغْبَــةً فِيهِــنَّ كَاذِبَــةً ... حَتَّى إذَا مَــا صَبَــا أَوْسَعْنَــهُ خَجَــلًا
لَقَــدْ عَلِمْــنَ بَأَنَّ اليَــأْسَ أَبْعَدَنِي ... عَنْهُــنَّ فَاحْتَلْــنَ لِاسْتِــدْرَاجِيَ

(١) السابق، ج١، ص٩٦، ٩٧.
(٢) السابق، ج١، ص٩٧.

لقد نجح العقاد في تصوير مكنونات نفسه من خلال إضفاء الصفات الإنسانية على المعنويات، فأصبحنا نشعر بحركة وضوضاء في قصائده، وكأننا أمام عرض مرئي، بل جعل القارئ يطلق العنان لخياله للوقوف على تجربته.

والشواهد على تشخيص العقاد في شعره ذي الصبغة التشاؤمية كثيرة، فقد أفاد من قدرة هذا اللون البلاغي في تعميق الدلالة، فراح يضفي الصفات الإنسانية على الجمادات فإذا هي أرواحًا تشعر وأجسادًا تتحرك. وهذا أعانه على التعبير عما يدور في خلده، ويعتمل في وجدانه؛ لأن التشخيص يتميز بـ "قدرته على التكثيف والإيجاز، وبنائه صلات بين أطراف الاستعارة لا تقف عند مجرد التشابه الحسي الملموس، وإنما تتجاوزه إلى العلاقات الدقيقة العميقة المتمثلة في تشابه الواقع النفسي والشعوري للطرفين المتشابهين، وهكذا فإن وظيفة الصورة في إطار هذه المفهوم، تجسيد الحقائق النفسية والشعورية والذهنية التي يريد الشاعر أن يعبر عنها، إذ يمكن القول إن الأساس العقلي لظاهرة التشخيص هو عمق العاطفة وسعة الخيال"(١).

**٢- التجسيد:**

يعرف صاحب المعجم المفصل في الأدب التجسيد بقوله: "هو ميل عارضٌ للتجريد في الأدب والفن، ويتمثل في إبراز الأفكار والعواطف والصور برسوم محسوسة"(٢).

ولا شك في أن تحويل المجردات إلى محسوسات يجعلها أقرب للفهم؛ لأن المفاهيم العقلية كالبغض والحزن والألم وغيرها تظل صورًا ذهنية، فإذا أبرزت في صور محسوسة أصبحت أشد وقعًا وأقرب فهمًا، فإن قول إنني

(١) أبو العدوس (يوسف)، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد الجمالية والمعرفية، الأهلية للنشر والتوزيع، بدون، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٤٠.

(٢) التويجي (محمد)، المعجم المفصل في الأدب، ص٢٢٦.

أتألم لا يوضح مستوى الألم بالدرجة نفسها التي يعبر عنها قول الألم يفتت كبدي.

وقد لجأ العقاد إلى التجسيد ليبرز لنا خلجات نفسه، فهو يشبه الأيام بالشجرة كثيرة الشوك التي لا تثمر سوى زهرة واحدة:

إِذَا جَنَيْتَ مِنَ الْأَيَّامِ زَهْرَتَهَا فَاقْنَعْ، فَسَائِرُهَا شَوْكٌ وَعِيدَانُ(١)

بل إن الحياة جميعها كالغابة الممتلئة بالأشجار ذات الشوك، والتي لا نستطيع جني ثمارها في حين أنا لا نسلم من أشواكها، فخيرات الدنيا هي الثمار الممتنعة، أما مصائبها فهي الأشواك التي لا نستطيع توقيها، بل إننا نتعرض لها بصفة دائمة:

نَمْشِي عَلَى الْأَبَدِيِّ مِنْ أَشْوَاكِهَا وِنِتَاجُهَا الأَبَدِيُّ عَنَّا مُغْلَقُ(٢)

ويُلِحُّ العقاد على فكرة جعل الحياة شجرة غير نافعة، فهو لم يجنِ منها سوى الثمار الضارة، على الرغم أنه لم يقدم فعل سوء حتى ينال منها ذلك الأذى:

شَكَوْتُ مِنْ بَعْضِ الحَيَاةِ الْأَذَى وَمَالهَا عِنْدِي شَكَاةٌ تَشِينْ

أَجْنِي مَرِيرَ الشَّكِّ مِنْهَا، وبِي تُوَكِّدُ الْإِيمَانَ لِلْآخَرِينَ(٣)

ويرسم العقاد للرياء – الذي تخلق به كثير من أهله عصره – صورة توضحه أيما توضيح، فيجعله في صورة ثياب ذات ألوان مختلفة، يحافظ عليها صاحبها ويبدلها بصفة يومية، فتسر الناظرين، في حين أنها تخفي وراءها نفسًا خسيسة، فالمخبر على الضد من المظهر:

فِي كُلِّ يَومٍ لَهُ ثَوْبٌ يُجَدِّدُهُ مِنَ الرِّيَاءِ، وفِي فَكَّيْهِ ذِيفَانُ(٤)

---

(١) العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، ج١، ص٧١.

(٢) السابق، ج٣، ص٢٦٢.

(٣) السابق، ج٧، ص٦١٨.

(٤) السابق، ج١، ص٧٥.

وفي خطابه لشباب مصر، يجعل الشباب ثياباً تلبس فتعطر أو تدنس، ويصور المجد في صورة أمر محسوس ثقيل يرفع على الأعناق؛ لأنه ثمين، فإما أن يجتهد في إعلاء ذلك المحمول والارتفاع به وصونه، وإما أن يعجز الإنسان عن حمله، فيلقيه في أماكن الأخطار:

مَنْ لِي، وإنْ كَـذَّبْتُ عَيْنِي، أَنْ أَرَى ... فِيكُـم شَمَائِـلَ فِتْيَـةِ الْأَمصَـارِ

لَبِسُـوا الشَّبَـابَ فَعَطَّـرُوا ... وَلَبِسْتُمُـوهُ فَـرَثَّ كَالْأَطْمَـارِ

رَفَعـُوا عَلَى الأَعْنَـاقِ مَجْـدَ ... ووضَعْتُمُـوهُ عَلَـى شَفِـيرِ

ويصور العقاد اليأس الذي استولى على نفسه، فيجعله أمرًا محسوسًا، وكأن نفسه أرض والأماني أشجار نابتة فيها يسقيها الحب الذي هو بمثابة الماء، ثم انقطع عنها الماء فيبست، فلم يعد فيها جمال ولا فائدة:

أَسْتَعْرِضُ الْعَيْشَ بِالنَّفْسِ الَّتِي يَبِسَتْ ... فِيهَـا الأَمَـانِي وَكَـانَ الحُـبُّ

وتغدو السعادة والحب أمرين محسوسين مشاهدين عندما يشبههما بالنبات الذي يزرع في أرض غير صالحة، فيجعلنا ننظر إلى زرع مآله للفساد، فلا فائدة ترجى منه:

أَيـْنَ مَـنْ يَغـْرِسُ السَّعـَادَةَ وَالْـ ... حُـبَّ بِـأَرْضٍ حَصَادُهَـا

وهكذا استطاع العقاد من خلال صوره المحسوسة والحية أن يعبر عما يختلج في أعماقه من الأحاسيس والمشاعر والأحزان؛ فجاءت صوره مطابقة لنفسه ممثلة لأحاسيسه.

---

(١) السابق، ج٢، ص٢٢٦.

(٢) السابق، ج٣، ص٢٤٢.

(٣) السابق، ج٣، ص٢٤٢.

## الخاتمة:

وبعد ففي ختام هذه الرحلة البحثية التي تم من خلالها الوقوف على نفس العقاد، والتفتيش في جوانبها رغبة في الكشف عنها في حالة خاصة من حالاتها، وهي الحالة المتسمة بالحزن والكآبة. فإن الباحث يحمد الله تعالى ويثني عليه على ما من به من العون والتوفيق، ويرجو منه – تعالى – أن يكون هذا العمل نافعًا ومفيدًا له وللقارئ الكريم.

هذا وقد تمخض البحث والدرس عن جملة من النتائج، كان من أبرزها:

١- الصبغة التشاؤمية في الشعر تُعنى بتصوير جوانب من حياة الشاعر، فهي تكشف عن الكثير مما يعتلج في نفسه، وهي تمثل حالة الشاعر بشكل صادق؛ لأنها تصدر غالبًا عن أحاسيس مرهفة، ونفوس معذبة تجرعت مرارة الألم.

٢- النزعة التشاؤمية ليست بدعًا في الشعر العربي – وإن برزت بشكل واضح عند الشعراء الرومانسيين– فقد عرف الشعر العربي هذا اللون التشاؤمي منذ العصر الجاهلي، وما تلا العصر الإسلامي من عصور إلى العصر الحديث.

٣- تأثير الأدب الغربي في توجيه العقاد نحو هذا اللون بدا واضحًا ملموسًا، حيث ترجم بعض القصائد الغربية التي تسودها النظرة التشاؤمية، ولذا فإن اتجاهه الرومانسي قد يكون أبرز المؤثرات التي صبغت جزاءً من شعره بهذه النظرة.

٤- النزعة التشاؤمية عند العقاد وجدت في إبداعه الشعري في كل مراحل عمره. ولكنها لم تكن غالبة على شعره، فهي تعتبر نسبة قليلة إذا ما قيست بإبداعه الشعري الغزير، حيث بلغ ديوانه عشرة أجزاء. تنوعت فيها الموضوعات وتعددت، فهو مفعم بالحديث عن الحب، ومظاهر الطبيعة، والرثاء، وبعض المستجدات اليومية، إضافة إلى المشاركة في بعض المناسبات. فهو يراوح بين اليأس والأمل والإحباط والطموح، فيجمع بين التفاؤل والتشاؤم مع غلبة

التفاؤل، فلم تقسُ عليه الظروف بحيث تغلب النظرة السوداوية على نظرة الأمل، ولذا لم تكن النظرة التشاؤمية هي السائدة في شعره.

٥- أثرت النزعة التشاؤمية بشكل عميق في صاحبي العقاد شكري والمازني، فعزلت الأول عن المجتمع، وقَصَرَتْ جهود الثاني على الإبداع النثري، أما العقاد فلم تؤثر فيه تلك النزعة بشكل عميق، حيث وجدناه مستمرًا في إبداع الشعر حتى وصل إلى مراحل متأخرة من عمره، فهو لم ينعزل عن عالمه الحقيقي، بل كان مقبلًا على الحياة متفاعلًا مع كل من حوله من الحياة والأحياء. فاتحًا لنفسه نوافذ من الأمل. فتشاؤمه لم يكن تشاؤم العاجز السلبي، بل تشاؤم الإنسان الإيجابي الذي يسعى إلى تغيير الواقع، ويأمل في تحقيق الكمال.

٦- غالبًا ما يفرد العقاد هذا اللون التشاؤمي فيجعله مستقلًا عن غيره من الموضوعات وبعناوين دالة عليه، ولذا غلبت المقطوعات المصبوغة بالتشاؤم على القصائد الطوال؛ لأن المقطوعات تتيح لتجربته الإيجاز والتكثيف.

٧- اتسمت لغة شعر التشاؤم عند العقاد بالسهولة والرقة، وفي الوقت نفسه كانت موحية بما يتلجلج بين جنبيه.

٨- اعتمد العقاد كثيرًا على الطبيعة، ولم يكن وصفه للطبيعة مقصودًا في ذاته، وإنما اتخذ من الطبيعة وسيلة للتنفيس عن نفسه، حيث نسج معها علاقة حميمية، فصبغها بما يعتمل في نفسه، فامتزجت بوجدانه، واستطاع من خلال تحريكه لعناصرها وتوظيفه لها أن يجعل المتلقي يعيش معه تجربته.

٩- خرج على بنية القصيدة القديمة لصالح الوحدة الموضوعية، حيث تتلاحم اللبنات الجزئية في القصيدة لتنقل تجربته الشعورية، فلم يعد البيت عنده مستقلًا بذاته، بل يحتاج إلى الأبيات اللاحقة ليتم معناه.

١٠- رغم دعوته إلى التجديد في القوافي، وترحيبه بتجديد عبد الرحمن شكري في القوافي المرسلة إلا أنه حافظ في شعره ذي الصبغة التشاؤمية على القافية الموحدة، فلم يخرج عنها إلا في النادر.

١١- يمثل التكرار ظاهرة بارزة في شعره ذي الصبغة التشاؤمية، حيث أتى في الحروف والكلمات والعبارات، وقد وظفه لهدف بلاغي، أو لغرض موسيقي.

١٢- اعتمد في صوره بشكل كبير على عنصري التشبيه والاستعارة، وحرص على تجسيد تلك الصور وبث الروح فيها.

وختامًا يأمل الباحث أن يكون هذا العمل قد أسهم في تجلية هذا اللون من الشعر عند العقاد، وفي الكشف عن بعض خبايا تلك النفس المبدعة.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

## المصادر والمراجع:

**أ- الكتب:**


١- أمين (أحمد) فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون.

٢- أمين (أحمد) النقد الأدبي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٣- الأنصاري (بدر محمد)، التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، جامعة الكويت، الكويـت، ط١، ١٩٩٨م.

٤- بدوي (أحمد أحمد) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، بدون.

٥- البقري، (أحمد ماهر محمود)، العقاد الرجل والقلم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر . الإسكندرية، بدون، ١٩٧٢م.

٦- التونسي (محمد خليفة)، العقاد دراسة وتحية "بمناسبة بلوغه السبعين"، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون.

٧- التويجي (محمد)، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية . بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٨- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م.

٩- الجبلاوي (محمد طاهر)، من ذكرياتي في صحبة العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة، بدون، ١٩٦٧م.

١٠- الجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني . جدة، بدون.

١١- الجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، بدون.

١٢- الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢،

١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٣- حسين (محمد بن سعد)، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، بدون، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م
١٤- حنبل (أحمد بن محمد)، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م
١٥- خليف (يوسف) مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون، ٢٠٠٤م.
١٦- خليفة (علي السيد)، الخجل والتشاؤم وعلاجهما، المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، بدون.
١٧- خليل (إبراهيم) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عَمان . الأردن، ط٥، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م
١٨- داود (أنس) رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، بدون، ١٩٧٥م.
١٩- الدسوقي (عبد العزيز)، جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
٢٠- دياب (عبد الحي)، شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون.
٢١- دياب (عبد الحي)، عباس العقاد ناقدًا، دار الشعب . القاهرة، بدون.
٢٢- الذبياني (النابغة) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٦هـ
٢٣- ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٤- الريّس (حسن علي)، العقاد كما عرفته، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بدون.
٢٥- زايد (علي عشري)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء . القاهرة، ط٤، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٢٦- السبيل (عبد العزيز)، وباقادر، (أبو بكر)، والشوكاني (محمد)، الأدب

العربي الحديث (تاريخ كيمبردج للأدب العربي)، النادي الأدبي الثقافي . جدة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٢٧- سويف (مصطفى)، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، بدون.

٢٨- الشايب (أحمد)، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة، ط٨، ١٤١١هـ . ١٩٩١م

٢٩- شرارة (عبد اللطيف)، تغلب على التشاؤم، الناشر المجموعة (٤ دور نشر)، ط١، ١٩٩٦م.

٣٠- الشريف (أحمد إبراهيم)، المدخل إلى شعر العقاد، دار الجيل . بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

٣١- الشهر ستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)، الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العالمية . بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.

٣٢- شوكت (محمود) وعيد (رجاء) مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر (بحث تاريخي وتحليلي مقارن) الناشر / دار الفكر العربي، بدون.

٣٣- صبح (علي علي مصطفى)، من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية، دار المريخ، الرياض، الطبعة١، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م.

٣٤- ضيف (شوقي)، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، بدون.

٣٥- ضيف (شوقي) دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف- القاهرة، ط٥، بدون.

٣٦- ضيف (شوقي) العصر العباسي الأول، سلسلة تاريخ الأدب العربي (٣)، دار المعارف، بدون، ط١٦، ٢٠٠٤م.

٣٧- ضيف (شوقي) العصر العباسي الثاني، سلسلة تاريخ الأدب العربي (٤)، دار المعارف، بدون، ط١٢، ٢٠٠١م.

٣٨- ضيف (شوقي)، في النقد الأدبي، دار المعارف . القاهرة، ط٩، بدون

٣٩- عبد الرحمن (عفيف) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء، دار العلوم للطباعة والنشر، بدون، ط١، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م

٤٠- عبد الصبور (صلاح)، ماذا يبقى منهم للتاريخ (دراسات في أدب: طه حسين، عباس العقاد، توفيق الحكيم، إبراهيم عبد القادر المازني)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بدون.

٤١- ابن العبد (طرفة)، ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية. بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٢- عبد الله (محمد حسن)، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، بدون.

٤٣- عبيد (أحمد)، مشاهير شعراء العصر في الأقطار العربية الثلاث (مصر وسورية والعراق)، المكتبة العربية. دمشق، ١٣٤١هـ.

٤٤- أبو العدوس (يوسف)، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد الجمالية والمعرفية، الأهلية للنشر والتوزيع، بدون، ط١، ١٩٩٧م.

٤٥- العشماوي (محمد، زكي)، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، بدون، ١٩٧٩م.

٤٦- عصفور (جابر)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي. بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٤٧- العقاد (عامر) غراميات العقاد، دار حراء، بدون.

٤٨- العقاد (عامر) لمحات من حياة العقاد، دار الكتاب العربي، بدون، ط١، ١٩٦٨م.

٤٩- العقاد (عباس محمود)، أنا، دار المعارف، القاهرة، بدون.

٥٠- العقاد (عباس محمود)، حياة قلم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٦٩م.

٥١- العقاد (عباس محمود)، ديوان العقاد، منشورات المكتبة العصرية. بيروت، بدون.

٥٢- العقاد (عباس محمود)، والمازني (إبراهيم عبد القادر)، الديوان في

الأدب والنقد، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط٤، بدون.

٥٣- العقاد (عباس محمود)، ابن الرومي حياته من شعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . القاهرة، بدون.

٥٤- العقاد (عباس محمود)، سارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة، بدون، ١٩٩٦م.

٥٥- العمري (زينب عبد العزيز)، شعر العقاد، دار العلوم للطباعة والنشر، بدون، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م

٥٦- عوض (إبراهيم)، في الشعر العربي الحديث تحليل وتذوق، المنار للطباعة والكمبيوتر، بدون، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٥٧- غراب (أحمد عبد الحميد)، عبد الرحمن شكري، سلسلة الأعلام (١١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون، ١٩٧٧م.

٥٨- فؤاد (نعمات أحمد)، الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد، دار المعارف . القاهرة، بدون.

٥٩- فؤاد (نعمات أحمد)، قمم أدبية (دراسات وتراجم لأعلام الأدب المصري الحديث)، الناشر عالم الكتب . القاهرة، بدون، ١٩٦٦م

٦٠- القاعود (حلمي محمد)، تطور الشعر العربي في العصر الحديث، دار النشر الدولي للنشر التوزيع، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٦١- قبش (أحمد)، تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، بدون.

٦٢- القط (عبد القادر)، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، بدون، ١٩٨٨م.

٦٣- ابن ماجة (محمد بن يزيد) السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٦٤- المازني (إبراهيم عبد القادر)، ديوان المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون.

٦٥- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع دار المعارف، بدون، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م.
٦٦- محمد (الولي)، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٦٧- مصطفى (إبراهيم)، الزيات (أحمد حسن)، عبد القادر (حامد)، النجار (محمد علي)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٦٨- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون.
٦٩- الموسوي (محسن جاسم)، وخالدي (بثينة)، الأدب العربي الحديث (مختارات) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٠م.
٧٠- هدارة (محمد مصطفى)، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٧١- هلال (محمد غنيمي)، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، نهضة مصر، بدون.
٧٢- هلال (محمد غنيمي) النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر . القاهرة، بدون، ١٩٩٧م.
٧٣- الهوَّال (حامد عبده)، دراسات في الأدب العربي الحديث، مكتبة الفلاح . الكويت، بدون.
٧٤- هيكل (أحمد)، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، بدون، ط٦، ١٩٩٤م.
٧٥- الوكيل، العوضي (العقاد والتجديد في الشعر)، مطبعة المعرفة، بدون، ١٩٧١م.

**ب- الرسائل العلمية:**

٧٦- أحمد (صلاح عبد اللطيف محمد) اتجاهات الشعر العربي في

المشرق (في القرن السادس الهجري)، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٧- جعفر (سعاد محمد)، التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٧٣م.

٧٨- الجعيد (فاطمة عبد الجبار)، الدراسات الأدبية في مصر وأثرها على تجديد الشعر وتوجيهه حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع الأدب، بدون.

٧٩- حبيبي (محمد بن حمود بن محمد)، الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينيَّات الهجرية (دراسة موضوعية وفنية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع الأدب، ١٤١٥هـ.

٨٠- الريمي (رحمة مهدي علي)، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المنورة المعاصرين، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٢٦هـ.

٨١- الزهيري (محمود غناوي)، الأدب في ظل بني بويه، رسالة ماجستير في الأدب . جامعة فؤاد الأول، مطبعة الأمانة . مصر، ١٣٦٨هـ ١٩٧٩م.

٨٢- العرفج، (أحمد عبد الرحمن حسين)، شعر الشكوى عند المتنبي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، شعبة الأدب، ١٤٢٠هـ.

٨٣- الكعكي (ثريا بنت بشير بن محمد)، التشاؤم عند عبد الرحمن شكري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٨٤- المحسني (عبد الرحمن بن حسن بن يحيى)، أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز في الفترة من سنة ١٣٥١هـ - ١٤٠٠هـ (دراسة نقدية

وتطبيقية) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير. جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم: الأدب، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

**ج- الدوريات:**

٨٥- أحمد (مجدي عبد المعروف حسين)، الصورة الفنية بين نسقية الرؤية وجدلية المصطلح، مجلة العلوم والتقانة . جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، بدون، مجلد ١٢ (٢) للعام ٢٠١١م نوفمبر.

٨٦- بو لنوار (علي) دلائلية النبض في القصيدة الشعبية، مجلة المخبر . أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، بدون.

٨٧- شويعل (يزيد)، التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بمركز الضبط وأساليب التعامل مع الضغط النفسي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، بدون، العدد الثاني/ يونية، ٢٠١٤م.

**د- الموسوعات:**

٨٨- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.